السّجين

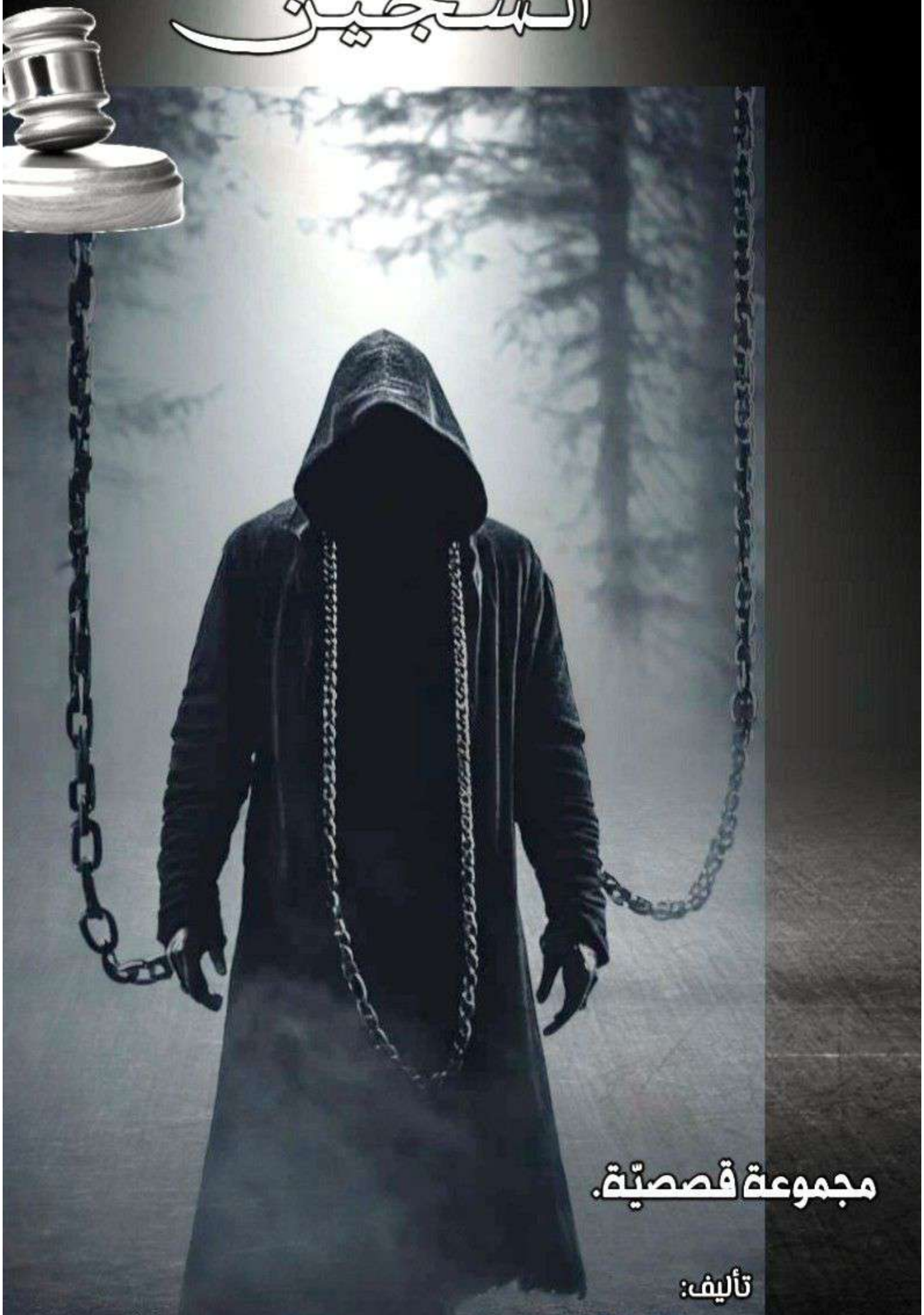

مجموعة قصصيّة.

تأليف:

كاتبات مبادرة فراشة أكتوبر.

المقدّمة:

المشكِلة الّتي لا تُواجهها مع الأيّام تتحوّل
إلى سجنٍ ضيّق لا تستطيعُ الفرارَ منه.
واجِه مشاكلك حتى لا تسكنَك وتبقى
حبيسًا لها مأسورًا من قبلها.
لا ترضَ الذّل ولا تقبل أن تعِيش بالهوان..
نحنُ هنا سطّرنا مشاكلنا لنتخلّص منها
لا لكي نخلّدها..
فالحياةُ لن تكون كما نحب، ولن تسيرَ
كما نبتغِي..
ولن نكلَّ حتى نكسِر أقفال السّجن،
ونحطّم أغلال القيد..
فهذا العمر لنا، وسنحقّق مجدنا فيه دون
زنزانات تكبّل سيرَنا.

الإهداء:

إلى كلَ من وجد نفسَه يعيشُ داخل
زنزانةِ ما -مُرغمًا- فلم يستسْلم لسجنه،
بلْ ثار على الظرَوف والحياةِ والمعتقدات
حتَى تحرَر..

إلى كلَ من لم يرضَ بالذلَ والخنوع
وآثر الموتَ عزيزًا على العيشِ ذليلًا.
إليكَ أنت،
أيَها المقاوِم. استمرَ ولا تتوقَف.

«فجرٌ خلفَ القضبان»

في زنزانةٍ ضيّقة، تتنفّسُ الجدران أسراراً لا تنام، كان سليم يجلسُ شارداً، يقلّبُ في دفتر ذكرياتهِ بكلماتِ أحبّته، ودفء بيتٍ غاب عنهُ لسنوات.

ذاتَ مساء، دخلَ عليه عمر، سجينٌ جديد بوجهٍ هادئٍ ونظرةٍ ملؤها الحيرة.

قال عمر: منذ دخلت هذا المكان، لم أرَ أحداً يبتسم مثلك، كيف تحتمل الظّلمة وفي قلبكَ هذا النّور؟

ابتسمَ سليم وقال: لأنّني لم أسجنُ روحي، فقط جُدران حول جسدي.

مرّت الأيّام، وأصبحَ عمر أقرب إليه، يتعلّم منه كيف يزرع الأمل في أرضٍ قاحلة، كيف يُضيء اللّيل بحكايةٍ، وكيف يكتب الله الفرج في لحظةٍ لا يتوقّعها أحد.

وفي ليلة باردة، جاء الحارس ينادي: سليم، لديك عفو.

وقف عمر مذهولاً، بينما سليم يطوي أغراضه بابتسامةٍ ساكنة، اقترب منه ووضع يده على كتفهِ وقال: قد أغادر الآن لكن، لا تنسَ ما قلته لك: حتّى الفجر يمكن أن يولد خلف القضبان.

خرج سليم، وبقيَ صدى كلماته يملأُ الزّنزانةَ نوراً.

الكاتِبة: ناديه محمد

«السّجين الأخير»

مَشَيْتُ أَتَرَنَّحُ مِنَ التَّعَبِ فِي المَمَرِّ، يَدَايَ مُكَبَّلَتَانِ، وَآلَامُ جَسَدِي تَفُوقُ قُدْرَتِي عَلَى الاحْتِمَالِ.

لَمْ أَعُدْ أَقْوَى عَلَى المَشْيِ، وَهُمَا يَجُرَّانِنِي بِقَسْوَةٍ لَا رَحْمَةَ فِيهَا.

أَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ لُهْلَةٍ صَغِيرَةٍ، فَرَأَيْتُ حَيَاتِي قَبْلَ هَذَا اليَوْمِ تَتَقَافَزُ فِي رَأْسِي كَأَطْيَافٍ مِنْ زَمَنٍ بَعِيدٍ.

- - أَخْرُجْ بِسُرْعَةٍ يَا حُسَامُ!

صَوْتُ الصُّرَاخِ يَعْلُو، وَالبَابُ يَكَادُ يَتَخَلَّعُ.

دَخَلَ عَسْكَرِيَّانِ ضَخْمَانِ، قَاسِيَانِ كَالصَّخْرِ، مَنْزُوعَا الرَّحْمَةِ. أَمْسَكَانِي وَضَرَبَانِي أَمَامَ عَائِلَتِي، ثُمَّ جَرْجَرَانِي خَارِجًا، وَرَمَيَانِي فِي سَيَّارَةٍ سَوْدَاءَ كَلَيْلٍ بِلَا قَمَرٍ.

- - اِفْتَحْ عَيْنَيْكَ!

كَفُّهُ كَادَتْ تَخْلَعُ رَأْسِي مِنْ شِدَّةِ ضَرْبِهِ.

فَتَحْتُ عَيْنَيَّ بِبُطْءٍ شَدِيدٍ؛ كُنْتُ مُنْهَكًا كَأَنِّي حَرَثْتُ عُمْرِي كُلَّهُ.

أَخَذَانِي إِلَى الزَّنْزَانَةِ رَقْم (4 6 5) ، وَرَمَيَانِي أَرْضًا بِقُوَّةٍ. لَمْ أَعُدْ أَرَى أَحَدًا، لَمَحْتُ فَقَطْ ظِلَالًا تَتَحَرَّكُ فِي العَتْمَةِ.

أُغْلِقَ البَابُ، وَأُقْفِلَ القَيْدُ. لَمْ يَقْتَرِبْ مِنِّي أَحَدٌ، وَلَمْ أَعُدْ أَقْوَى عَلَى النُّهُوضِ.

أَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ مُتَمَنِّيًا أَنْ تَكُونَ تِلْكَ النَّوْمَةُ الأَخِيرَةَ.

وَلَكِنَّ الأَلَمَ أَيْقَظَنِي؛ كَانَ أَشَدَّ مِنَ المَوْتِ.

ضَوْءٌ بَاهِتٌ مِنْ مِصْبَاحٍ صَغِيرٍ يَتَدَلَّى مِنَ السَّقْفِ.
حَاوَلْتُ رَفْعَ رَأْسِي، فَإِذَا بِصَوْتٍ خَافِتٍ يَهْمِسُ:
.. تَحَمَّلْ قَلِيلًا... جُرُوحُكَ كَثِيرَةٌ وَسَيِّئَةٌ.
ثُمَّ آخَرُ قَالَ:
.. يَا لَهُ مِنْ مِسْكِينٍ، كَمْ ذَاقَ مِنَ العَذَابِ!
.. تُرَى مَا تُهْمَتُهُ؟
هَمَسْتُ بِصَوْتٍ مَبْحُوحٍ:
.. لَا تُهْمَةَ لِي.
قُلْتُهَا وَقَلْبِي يَعْتَصِرُ وُجَعًا.
أَجَابَنِي أَحَدُهُمْ:
.. أَغْلَبُ مَنْ هُنَا مِثْلُكَ... يَأْخُذُونَهُمْ مِنْ بُيُوتِهِمْ، وَيَلْفِقُونَ لَهُم تُهَمًا بَاطِلَةً. هُنَا، إِمَّا تَخْرُجُ فَاقِدَ العَقْلِ... أَوْ لَا تَخْرُجُ أَبَدًا.
سَمِعْتُ كَلِمَاتِهِ، فَآلَمَنِي جَسَدِي مَرَّةً، وَقَلْبِي أَلْفَ مَرَّةٍ.
بَدَأْتُ أُفَكِّرُ بِعَائِلَتِي، بِأُمِّي، بِأَبِي، بِإِخْوَتِي... مَنْ سَيُعِينُهُمْ بَعْدِي؟
صَرَخْتُ مِنْ شِدَّةِ الوَجَعِ، ثُمَّ غِبْتُ عَنِ الوَعْيِ.
يَقُولُونَ: "لَا أَحَدَ خَرَجَ مِنْ هَذَا السِّجْنِ سَالِمًا... وَلَا أَحَدَ سَيَخْرُجُ."
وَفِي اليَوْمِ التَّالِي، صَدَرَ حُكْمُ الإِعْدَامِ.
كُنَّا جُلُوسًا، يُنَادُونَ الأَسْمَاءَ وَاحِدًا تِلْوَ الآخَرِ.
دَعَوْتُ اللهَ أَنْ أَكُونَ بَيْنَهُمْ.

وَحِينَ نَادَى السَّجَّانُ:
.. السَّجِينُ الأَخِيرُ!
قَالَ اسْمِي.
حَمِدْتُ اللهَ، وَتَشَاهَدْتُ.
مَشَيْتُ وَأَنَا أَحْمِلُ عَلَى كَتِفَيَّ آمَالِي وَأَحْلَامِي، مَاضِيَّ وَمُسْتَقْبَلِي، وَمَشَاعِرِي المُثْخَنَةَ بِالنَّزْفِ.
كَانَتْ عَيْنَايَ مُتْعَبَتَيْنِ، وَقَلْبِي يَنْزِفُ دَمًا... وَلَوْ كَانَتِ المَشَاعِرُ تُرَى، لَرَأَيْتَنِي غَارِقًا بِالمَادَّةِ الحَمْرَاءِ الَّتِي تَحْمِلُنِي.
مَشَيْتُ أَبْكِي عَلَى مَاضِيَّ وَحَاضِرِي، رَافِعًا رَأْسِي، آمِلًا أَنْ أَكُونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ.
وَحِينَ أُغْلِقَ البَابُ خَلْفِي لِلْمَرَّةِ الأَخِيرَةِ، لَمْ أَشْعُرْ بِالخَوْفِ.
كَانَ فِي دَاخِلِي سُكُونٌ غَرِيبٌ، يُشْبِهُ عِنَاقَ الأُمِّ بَعْدَ الغِيَابِ.
سَمِعْتُ صَوْتَ الرَّصَاصِ، وَلَكِنَّنِي لَمْ أَسْمَعْ سُقُوطِي...
كَأَنَّ رُوحِي خَرَجَتْ قَبْلَ جَسَدِي، تَمْضِي بِخِفَّةِ الطَّائِرِ نَحْوَ سَمَاءٍ لَا قُضْبَانَ فِيهَا.

الكاتِبة: راما الزعبي

«سجينةُ خطئها»

كانت جيلان فتاةً في الثامنةِ عشرةَ من عمرِها، تُعرَفُ بذَكائِها ورجاحةِ عقلِها، لكنها - رغمَ ذلك - وقعت في حُبِّ رجلٍ لم يكنْ أهلًا لقلبِها.

اسمه سليمان. لم يكنْ حبًّا عابرًا، بل عشقًا تغلغلَ في أعماقِها.

اعتادت أن تنتظرَ نومَ عائلتِها، فتتسللَ إلى حديقةِ المنزلِ حيثُ يلقاها سليمان.

كانا يتحادثانِ همسًا، يضحكانِ، يلعَبانِ كطفلين، وحين يتعبُها السهرُ، ترتمي في حضنِه وتنامُ كأنَّ العالمَ قد تلاشى.

ومع أولِ خيوطِ الفجرِ، تعودُ إلى غرفتها بخُطًى مرتعشةٍ.

كان حبُّها له إدمانًا؛ تغاضتْ عن كذبِه، تجاهلتْ ماضيَه، وبرَّرتْ كلَّ تصرُّفاتِه...

حتى جاء يومٌ تركَها فيه ورحلَ، بلا وداعٍ ولا مبرِّرٍ.

انهارت جيلان، لكنها حاولتْ تجاوزَ الحُبّ... إلا أنّها لم تستطعْ تجاوزَ ما حدث.

لم تعُد قادرةً على النوم؛ فحضنُه الذي اعتادتْ عليه غابَ، وتركَ خلفَه روحًا لا ترتاح.

باتت جُثَّةً تسير، لا حياةَ فيها، تشعرُ وكأنَّ خطأها الوحيدَ كفيلٌ بأن يحرِمَها من العيشِ مُجدَّدًا.

ثم جاء رجلٌ آخر... مختلف.
أحبَّها بصدق، أعاد النبضَ إلى قلبِها، رمَّمها بلُطفٍ، وأراد أن يمنحَها بدايةً جديدةً، حياةً تستحقُّها.
تزوَّجَها، وذاتَ ليلةٍ اقتربَ منها ليحتضِنَها، فمرَّ شريطُ الذكرياتِ أمامَ عينيها كأنها تعيشُه من جديد.
ارتجفتْ، ودفعَتْه بقوةٍ، ثم انسحبتْ بصمتٍ موجِع.
لم يكنْ رفضًا له، بل لألمٍ لم يُشفَ.
حاولَ كثيرًا، لكنها بقيت سجينةً لأخطاءِ الماضي... حُرَّةً في جسدِها، وأسيرةً في قلبِها.
وهنا أدركت جيلان أنَّ الجراحَ القديمةَ لا تُشفى بالتجاهل،
وأنَّ التظاهرَ بالقوةِ لا يكفي لترميمِ الروح،
فالهروبُ من الندمِ لا يُنهي ألمَه.
كانت سجينةَ خطأٍ واحدٍ، لكنه لم يكنْ خطأها وحدَها،
بل كان أيضًا نتيجةَ ثقتِها العمياء، واحتياجِها العاطفيِّ الذي لم تجدْ من يحتويهِ بصدقٍ.
فهمت أنَّ الحُبَّ لا يكفي ليمنحَ الأمان،
وأنَّ مَن يُعطي جسدَه قبلَ قلبِه، يخسرُ كليهما.
وعلَّمتْها الحياةُ أنَّ العفوَ عن الذاتِ أصعبُ من العفوِ عن الآخرين،
لكن لا سعادةَ دونَ مصالحةِ النفس.
فبدأتْ أوَّلَ خطوةٍ نحو الحريّة،
لا من الزنزانةِ، بل من داخلِها.
الدرس؟
لا تهربْ من حُزنكَ بعلاقةٍ،
ولا تُعالِجِ الندمَ بإنكارِه.
واجِهْ، تألَّمْ، واغفرْ لنفسِك...
فبعضُ الأخطاءِ ليست نهايةً،
بل بدايةُ الوعي الحقيقيّ.

الكاتِبة: أحلام عوض.

«مرآةُ الرّوح»

فِي زِنْزَانَةِ «الزَّاوِيَةِ الْمَنْسِيَّةِ» الَّتِي لَا يَتَجَاوَزُ عَرْضُهَا ذِرَاعَيْنِ، كَانَ نُورٌ (السَّجِينُ) يُمَارِسُ طَقْسَ الصَّمْتِ.

لَمْ تَكُنْ جُدْرَانُهَا الْمُبَلَّلَةُ بِالْمِلْحِ وَالرُّطُوبَةِ سِجْنَهُ الْحَقِيقِيَّ، بَلْ تِلْكَ الْأَصْوَاتُ الصَّارِخَةُ الَّتِي بَدَأَتْ تَتَكَاثَرُ دَاخِلَ رَأْسِهِ مُنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ.

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ، لَمْ يَسْتَطِعْ نُورٌ تَحَمُّلَ الصَّمْتِ الْمُدَوِّيَ.

أَمْسَكَ كَوْبَهُ الْمَعْدَنِيَّ، الَّذِي كَانَ قَدْ صَقَلَهُ بِحَكِّهِ عَلَى أَرْضِيَّةِ الزَّنْزَانَةِ لِأَسَابِيعَ طَوِيلَةٍ، حَتَّى أَصْبَحَ لَامِعًا كَالْفِضَّةِ.

كَانَ هَذَا الْكَوْبُ مِرْآتَهُ الْوَحِيدَةَ.

رَفَعَ الْكَوْبَ وَحَاوَلَ أَنْ يَرَى وَجْهَهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَرَ سِوَى انْعِكَاسٍ مَهْزُوزٍ لِعَيْنَيْنِ ذَابِلَتَيْنِ.

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، جَاءَ صَوْتُ الْحَارِسِ قَرِيبًا جِدًّا مِنْ فُتْحَةِ الْمُرَاقَبَةِ، صَوْتٌ خَشِنٌ كَالْحَصَى يَتَسَاقَطُ:

الْحَارِسُ: «مَا هَذَا؟ هَلْ تَتَحَدَّثُ إِلَى نَفْسِكَ؟»

نُورٌ: «أَبْحَثُ عَنْ نَفْسِي.»

الْحَارِسُ: «تَوَقَّفْ عَنْ هَذَا الْهُرَاءِ، يَا رَقْمَ سَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ. لَا أَحَدَ هُنَا يَمْلِكُ رَفَاهِيَةَ الْبَحْثِ عَنِ الذَّاتِ. مَهَمَّتُكَ هِيَ الصَّبْرُ.»

أَعَادَ نُورٌ الْكَوْبَ إِلَى الْأَرْضِ.
مَهَمَّتُهُ الْحَقِيقِيَّةُ، كَمَا أَدْرَكَ، كَانَتِ التَّذَكُّرَ.
عَلَى مَدَارِ شَهْرَيْنِ، تَذَكَّرَ كُلَّ لَوْحَةٍ رَسَمَهَا، وَكُلَّ خَطٍّ لَوْنِيٍّ اخْتَارَهُ، وَكُلَّ شَخْصٍ أَحَبَّهُ.
كَانَ يَتْلُوهَا فِي صَمْتِهِ كَصَلَاةٍ، يُحَاوِلُ أَنْ يَجِدَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ سَجِينًا قَبْلَ الزَّنْزَانَةِ أَيْضًا.
فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ، أَوْقَفَهُ صَوْتُ ارْتِطَامٍ قَوِيٍّ.
الْحَارِسُ: (بِصَوْتٍ مُجْهَدٍ، أَقْرَبَ إِلَى التَّوَسُّلِ) «يَا رَقْمَ سَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ، أَيْنَ تِلْكَ السَّجَائِرُ الَّتِي خَبَّأْتَهَا؟ أَعْطِنِي وَاحِدَةً.»
نُورٌ: «لَيْسَ لَدَيَّ سَجَائِرُ يَا سَيِّدِي.»
الْحَارِسُ: «أَنْتَ تَكْذِبُ! الْجَمِيعُ يُخَبِّئُ شَيْئًا. أَنَا أَخْدِمُ هُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ عَامًا، أَعْرِفُ جَيِّدًا مَا يَفْعَلُهُ السَّجِينُ.»
فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، أَدْرَكَ نُورٌ شَيْئًا: الْحَارِسُ أَيْضًا سَجِينٌ.
سَجِينٌ لِلْبَابِ الَّذِي لَا يُغَادِرُهُ، وَلِلْقَوَانِينِ، وَلِلتَّوَقُّعَاتِ الْبَالِيَةِ.
فَجْأَةً، نَهَضَ نُورٌ وَرَفَعَ الْكَوْبَ الْمَعْدَنِيَّ اللَّامِعَ.
لَمْ يَعُدْ يَبْحَثُ عَنْ وَجْهِهِ، بَلْ عَنْ شَيْءٍ آخَرَ.
نُورٌ: «انْظُرْ يَا سَيِّدِي... انْظُرْ.»
الْحَارِسُ: «مَاذَا أَرَى؟ مَجْنُونٌ؟»

نُورٌ: «أَرَى الضَّوْءَ. الضَّوْءَ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْ فُتْحَةِ التَّهْوِيَةِ الصَّغِيرَةِ. هِيَ شَمْسٌ مَكْسُورَةٌ، لَكِنَّهَا شَمْسٌ.»

كَانَ نُورٌ قَدِ اكْتَشَفَ طَقْسَهُ الْيَوْمِيَّ: عِنْدَمَا يَنْعَكِسُ شَرِيطُ الضَّوْءِ عَلَى الْكَوْبِ الْمَصْقُولِ، كَانَ يُصْنِعُ بُقْعَةً صَغِيرَةً مُتَحَرِّكَةً مِنَ النُّورِ السَّاطِعِ عَلَى الْجِدَارِ الْمُقَابِلِ.

كَانَ يُحَرِّكُ الْكَوْبَ بِبُطْءٍ لِيُشَكِّلَ بِالضَّوْءِ الْمُنْعَكِسِ أَشْكَالًا.

نُورٌ (بِصَوْتٍ فَنَّانٍ يَشْرَحُ عَمَلَهُ): «هَذَا هُوَ التِّينُ. وَتِلْكَ الْآنَ... الْمَوْجَةُ عَلَى الْبَحْرِ. أَنَا لَا أَتَحَرَّكُ، وَلَكِنِّي أَرْسُمُ بِالنُّورِ... أَنَا حُرٌّ فِعْلًا.»

لَمْ يَرُدَّ الْحَارِسُ. ظَلَّ صَوْتُهُ الْخَشِنُ كَالرَّمْلِ يَتَسَاقَطُ، مُعَلَّقًا فِي صَمْتٍ أَثْقَلَ مِنَ الْجُدْرَانِ.

أَحَسَّ نُورٌ بِوُجُودِهِ؛ لَمْ يَكُنْ صَمْتَ حَارِسٍ، بَلْ صَمْتَ رَجُلٍ رَأَى نَفْسَهُ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى.

فِي الْيَوْمِ التَّالِي، عِنْدَ مَوْعِدِ تَبْدِيلِ الْحِرَاسَةِ، سَمِعَ نُورٌ صَوْتَ كَشْطٍ خَفِيفٍ عِنْدَ أَسْفَلِ الْبَابِ.

لَمْ يَكُنْ طَعَامًا، بَلْ هَمْسَةً مُتَبَادَلَةً.

عِنْدَمَا زَحَفَ وَوَصَلَ إِلَيْهِ، وَجَدَ قِطْعَةً صَغِيرَةً مِنَ الطَّبَاشِيرِ الْأَبْيَضِ الْمَكْسُورِ.

نَظَرَ نُورٌ إِلَى الطَّبَاشِيرِ، ثُمَّ إِلَى الْكَوْبِ اللَّامِعِ، ثُمَّ إِلَى شَرِيطِ الضَّوْءِ الَّذِي بَدَأَ يَنْسَحِبُ مِنَ النَّافِذَةِ.

لَقَدْ عَمَّقَ نُورٌ فَهْمَهُ.

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، أَدْرَكَ أَنَّ السِّجْنَ لَيْسَ بِالْجُدْرَانِ، بَلْ بِالرُّؤْيَةِ.

لَقَدْ أَطْلَقَ سِرَاحَ الْحَارِسِ مِنْ رُتَابَتِهِ، وَأَهْدَى لَهُ طَرِيقًا لِلْهُرُوبِ مِنْ وَاقِعِهِ.

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، بَدَأَ نُورٌ فِي رَسْمِ أُولَى لَوْحَاتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ.

كَانَتِ اللَّوْحَةُ الْأُولَى صُورَةَ الشَّجَرَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا لَهُ، مَرْسُومَةً عَلَى الْجِدَارِ الْقَاسِي بِطَبَاشِيرِ الْحُرِّيَّةِ.

انْتَهَى سِجْنُ نُورٍ الْحَقِيقِيُّ؛

إِبْدَاعُهُ وَجَدَ طَرِيقَهُ خَارِجَ الزَّنْزَانَةِ، وَدَاخِلَ قَلْبِ الْحَارِسِ.

الكاتِبة: مروة الرعيني.

«السّجين»

في زنزانةٍ ضيّقةٍ لا تتجاوزُ أمتارًا قليلة، جلس خالد متكوّرًا في زاوية الجدار، يحدّقُ في القضبان كأنّها أبوابُ السماء.
لم يكن مجرمًا، بل ضحيّةَ خطأٍ قضائيٍّ جعله سجينًا لسنواتٍ طويلة.
في الزنزانةِ المجاورة، كان أبو فارس، رجلًا ستينيًّا، يمضي يومَه بالحكايات، يحفظُ أسماءَ الحُرّاس، ويصنعُ من الوقتِ صديقًا.
كان الوحيدَ الذي آمنَ ببراءةِ خالد.
قال له يومًا وهو يناوله نصفَ رغيفِ خبز:

«يا بُني، السجنُ لا يقتلُ الجسد، بل يختبرُ الرّوح.»
مرّت السنوات، وخالد يكتبُ رسائلَ لا تصل، ويحلمُ بسماءٍ دونَ قضبان.
وفي يومٍ عاصف، فُتح بابُ الزنزانة، ووقف ضابطٌ يحملُ ورقةً قائلاً:
«خالد... حُكم ببراءتك.»
خرجَ خالد لا يحملُ شيئًا سوى قلبٍ أثقلته الذكريات.
التفتَ إلى الزنزانةِ، فوجدها فارغةً... أبو فارس رحل منذ أسبوع.
لكن كلماته بقيت تُردّد في أذنه:
«اختبروا أرواحَكم، لا تستسلموا لظلمٍ لا يدوم.»
وهكذا، خرج السجين... حرًّا،
لكنّه لم ينسَ أبدًا أن بعضَ الزنازين لا تُغلقُ بالأقفال، بل بالخوف.

الكاتِبة: آية عتيق

«سجينُ ذاتِه»

لا أحدَ يعرفُ متى بدأ، ولا أحدَ يمكنه أن يُحدِّد المكان.
هناك شعورٌ دائمٌ بالضيق، كأنَّ الهواءَ نفسَه يحملُ جدرانًا لا تراها العين.
يجلسُ هناك، وحيدًا وسطَ ضوضاءٍ لا يسمعها أحد،
ضوضاءِ أفكارِه التي لا تهدأ، والتي تتكرّر مثل رنينٍ بلا نهاية.
كلُّ فكرةٍ تُصادفه هي انعكاسٌ له، لكنها قاسيةٌ ومزدوجة.
يبدأ بسؤالٍ بسيط، فتأتيه آلافُ الإجابات، كلُّها خاطئة، وكلُّها تسجنه أكثر.
يحاول أن يخرج، أن يفرَّ، أن يترك شيئًا خلفه...
لكنَّه يكتشف أنَّ الطريقَ خارجَ رأسه لا يُعرَف له نهاية.
يحلم أحيانًا بأنَّه يمشي في شارعٍ طويل،
لكنَّ هذا الشارعَ ليس إلا امتدادًا لغرفته،
والأضواءُ التي يظنّ أنّها حقيقيّةٌ هي مجرّد انعكاسٍ لمخاوفِه.
وكلُّ شخصٍ يراه في هذا الحلم ما هو إلا وجهٌ من وجوهِ نفسه،
يعاتبُه، يسخرُ منه، أو يطلبُ منه شيئًا لا يعرفُه.
يخافُ من الصمت، لكنَّه يخافُ أكثر من الكلام.
كلُّ كلمةٍ تقولها الشفاهُ يمكن أن تتحوّل إلى قيود،
وكلُّ فكرةٍ يهربُ منها تعودُ لتُلاحقَه في الظلام.
يظلُّ يجلسُ أحيانًا أمام المرآة،

لا يرى انعكاسَه فقط، بل يرى آلافَ النسخِ منه،
كلُّ نسخةٍ تحملُ خطأه الذي لم يعترفَ به.
يهمسُ في نفسه:
«أريدُ الحرية... أريدُ الخروج.»
لكنَّ الحريةَ ليست خارجيّة، ولا يمكن العثورُ عليها
بين الجدران أو الأبواب.
إنّها مجرّد لحظةٍ صغيرةٍ حين يواجهُ المرءُ نفسه بلا
خوف،
حين يرى أفكارَه، يُخبرُها بما تشاء، ثم يتركُها تذهب...
أو ربما يتركُ نفسَه معها.
في إحدى الليالي، شعر بشيءٍ مختلف.
الظلالُ في الغرفة لم تَعُد تتحرّك، والأصواتُ توقّفت
فجأة.
جلس في هدوءٍ، وترك عقلَه يجري بلا محاولةٍ
للسيطرة،
ورأى فجأةً نسمةً من الضوء تمرّ عبر الزاوية،
خفيفةً، لكنها حقيقيّة، كما لو أنّ هناك نهايةً لم
يعرفها بعد.
اقترب منها خطوةً خطوة، وكلُّ خطوةٍ كانت صعبة،
فكلُّ جزءٍ من ذاتِه يريدُ أن يبقى في السجن،
يريدُ أن يُثبِت أنّه ما زال ضائعًا.

لكنَّه واصل المشي، حتى وصل إلى العتبة.
لم يكن هناك باب، ولم تكن هناك أرضيّةٌ ثابتة،
فقط فراغٌ واسع... وهدوءٌ يملأ كلَّ شيء.
فهم أخيرًا أنّه لم يخرج من شيء،
بل دخل إلى ذاتِه، إلى مكانٍ لم يعرفه قطّ،
مكانٍ حيث يمكنُ للأفكار أن توجد بلا قيود،
ولكن بلا سيطرةٍ أيضًا، بلا لَومٍ، بلا حُكم.
جلس هناك طويلًا، لا يعرف كم مضى،
إذ إنّ الوقتَ أصبح بلا معنى،
وأدرك أنّ السجنَ الحقيقيَّ كان دائمًا في رأسِه،
وأنَّ الحريةَ الحقيقية ليست الهروب،
بل أن ترى كلَّ ما يُخيفُك، وتظلَّ واقفًا، بلا مقاومةٍ ولا هروب.
ومع ذلك، لم يبتسم، ولم يشعر بالسلام بعد،
فإنّ السجينَ ليس من يخرجُ من زنزانة،
بل من يعيشُ مع نفسِه، ومع أفكارِه، بلا نهايةٍ واضحة،
في مكانٍ لا يعرفه إلّا هو... وحدَه... دائمًا وحدَه.

«السّجينُ وألقُ الدّيجورِ»

وقف رجلٌ صنديدٌ ذو مهابةٍ على الثَّرى، فألقى لسعيه في إنارةِ العلمِ ومحوِ الدِّيجور.

ما هُشِّم له قَشَب، وجُعِل له من الصَّدأ معدنٌ أصيل.

«أُفديك مُنشرحَ الصَّدرِ باسمَ الثَّغر، عقيدتي فداءٌ لا يقوم به سَنُّ اليَراع، ولا يقوى عليه البليغ.

يا من أَمَّنكم الله على الأرواح، كُفّوا أيديَكم، وتعالَوا معي نُحيي من الإرثِ والقيمِ ما فَنِي، تُزهِر به الأفئدةُ والدُّنا.

ولقد علمتُم الحقيقةَ فما دافعتم عنها!

كيف لا تَرِقُّ قلوبُكم لواقعِنا، ولا سعيتم للتبديل؟»

فاتَّهَمه علِيَّةُ القوم بأنّه مُتحالِفٌ مع أهلِ الفساد، ومُبَدِّدٌ للقيمِ والحقائق، ومُقِلٌّ من شأنِ الأمثلةِ العُليا والقُدوةِ الحسنة، فحاكموه.

أُحضِر إلى القاضي:

القاضي: «عبدَ اللهِ بنَ عليِّ بنِ السيد، رُدَّ على ما نُسِبَ إليك من إهانةِ المثلِ العُليا وإساءةٍ إلى المجتمع.»

عبدُ الله: «سيدي القاضي، نحن من يُلجأ إليهم إذا ضاع الطريق وغلب البؤس.

مَن يعلم قدري لا يَزُجّ بي في وَحلِ هذا الاتهام، هنا حيث تقف القِمَم.»

القاضي: «هل تَنفي أقوالك المُسيئة عن خِيرةِ مجتمعنا؟»

عبدُ الله: «وأيَّ إساءةٍ ذكرتُها في حقِّ مَن أولاهُمُ الله أمانةً فأنقَصوها؟

أذاكَ لأنّي دعوتُهم لعهدٍ جديدٍ نلمّ به شتاتَ دروبِنا؟»

القاضي: «إذًا لستَ معترفًا؟ لا تُطِل الحديث واستقِم!»

عبدُ الله: «لله أسلمتُ على دينٍ قَيِّمٍ لا انحرافَ فيه. سجينٌ أنا في عالمكم بين الحقّ وما تُسمّونه بالحقّ. سجينٌ في دنيا سُجِن فيها صدقُ قلبي.»

الكاتِبة: مريم محمد

«سجينةُ الأحلام»

في مَنزلٍ تَملؤه البَساطةُ، كانت تَعيشُ أُمٌّ تُدعى ماريا، وأبٌ يُدعى مصطفى، وابنتُهما يارا.
كانت يارا طِفلةً ذكيّةً جدًّا، تَحلُمُ دائمًا أن تُصبحَ كابتن طيّارٍ عندما تَكبُر.
مَرّت السَّنواتُ، وكَبُرت يارا، حتّى أصبَحت في الصَّفِّ التّاسِع.
وفي يومٍ، قَرَّر والدُها تَزويجَها وهي ما تزالُ في الرّابعةِ عشرةَ من عُمرِها.
رَفَضَت الأُمُّ، ورَفَضَت الابنَة أيضًا، لكنَّ الأبَ كان مُصِرًّا، وقالَ بصوتٍ قاسٍ:

"لا كَلِمَةَ للنِّساءِ في مُجتمعِنا، فأنا الرَّجلُ، وأنا الأحقُّ باتِّخاذِ القَراراتِ."

تَحطَّمَت أحلامُ يارا، وتَبَعثَرَت طُفولتُها، وقُتِلَت وهي على قَيدِ الحياةِ.
حَتّى جاءَ اليومُ المَشؤومُ، يومُ زِفافِها...
كانت تَرتدي فُستانًا أبيضَ، كأنَّه كَفَنُها الّذي سَيَدفِنونَها به.
وفي تِلكَ اللَّيلةِ، سَكَنتِ الضَّحكاتُ بَيتَهم، وغابَتِ الطِّفلةُ الّتي كانت تَحلُمُ بالسَّماء.
بَقِيَت طائِرَتُها الوَرقيّةُ مُعلَّقَةً على الجِدارِ، تَتحرَّكُ كُلَّما مَرَّت نَسمةُ هواءٍ...

الكاتِبة: سوسن النّويرة.

«أين أنت، وأين أنا»

بينَ سُطورِ حياتِها الّتي سُطِّرت بعنوانِ النَّصيب وتحتَ مُسمّى السَّجين الَّذي تدفَّق في خَلاياها كالقُضبانِ المُحكَمةِ الإغلاقِ...
كانت هناكَ فَتاةٌ ثانويَّةٌ تَعيشُ بينَ عائلةٍ مُتشدِّدةٍ،
كانت تذهبُ كُلَّ يومٍ إلى مَدرستِها لتَعيشَ روتينَ يومِها المُعتادَ.
وفي ذلكَ اليومِ الماطرِ تَبَدَّلت كُلُّ أحوالِها وروتينُ أيّامِها،
ليَخرُجَ من بينِ قَطراتِ الماءِ ذلكَ الشَّابُّ...
لم تُلاحِظ نَفسَها ولم تُدرِك مَشاعرَها.
كانت كُلَّ يومٍ تَحومُ بطَيفٍ من ذِكرياتٍ تَصنَعُها بِنفسِها ومِن خيالِها.
ولم تَكُن تُدرِك أنَّ الشَّابَّ أيضًا يُراقِبُها، وكانت جُزءًا مِن روتينِ يومِه.
وعِندما جاءَ ذلكَ اليومُ، حينَ اصطَدَما في المكانِ والزَّمانِ نفسِهِ، ودونَ وُجودِ أحدٍ داخِلَ صَفِّهِم، شَعَرَتِ الفتاةُ أنَّ النَّصيب أرادَ لها هذا المَوقِفَ معه.
وفي الوقتِ نفسِه تَشجَّعَ الشَّابُّ على مُواجهةِ مَشاعرِه وإخبارِها بها، لكنَّ الفتاةَ جاءَتها لَحظةُ إدراكٍ عندما تَذَكَّرَت أهلَها وعاداتِهم، فردَّت عليهِ قائلةً:
"كان بودِّي أن أُبادِلَكَ نَفسَ المَشاعرِ، ولكن لا أستطيع..."
كانت على وشكِ الذَّهابِ، فأوقَفَها مُتسائلًا: "لِماذا؟"

فقالت: "إن كان النَّصيبُ مَعَنا في هذهِ اللَّحظةِ، فَفي المرَّةِ القادمةِ سيكونُ ضِدَّنا."

وذهبت...

مَرَّت الأيّامُ والأسابيعُ على حالِهم دونَ أيِّ تَحرُّكٍ، ليأتي ذلكَ اليومُ عندما كانتِ الفتاةُ في مَنزِلِها، فطُرِقَ البابُ، وفُتِحَ والدُها...

لتكونَ المُفاجأةُ الكُبرى للفتاةِ...

الشَّابُّ الّذي طالَما حَلِمَت به أمامَ عَتَبَةِ مَنزِلِها، يَنتظِرُ رَدَّ والدِها بالدُّخولِ.

دقّاتُ قَلبِها مَلَأَت أركانَ غُرفتِها، وعَلِمَت أنَّ زِيارَتَه كانت لِطَلَبِ يَدِها.

مَرَّت ساعاتٌ، ليَخرُجَ الشَّابُّ مع أهلِه من مَنزِلِهم، ولم يَفتَحْ أحدٌ من أهلِها أيَّ موضوعٍ معها.

ذهبتْ إلى المَدرسةِ في اليومِ التّالي تَبحثُ عنه... فلم تَجِدْه.

عادَت إلى المَنزِلِ تَسألُ والدتَها عن ذلكَ اليومِ، فقالت:

"جاءَ لِطَلَبِ يَدِكِ فَرَفضناه، فَنحنُ لا نُزَوِّجُ بَناتِنا للغُرَباء..."

دخَلَت غُرفتَها وأنفاسُها مُنقَطِعةٌ من شِدَّةِ البُكاءِ، فأدرَكَت أنَّها لَن تَراهُ مُجدَّدًا...

عادَت لأيّامِها المُعتادةِ دونَ ضَحكاتٍ تَملأُ وجهَها، وأدرَكَت أنَّها سَجينةٌ تحتَ مُسمّى العاداتِ والتَّقاليدِ.

ففَهِمَت أنَّها تَعيشُ سَجينَةً، ولكن ليسَ بينَ غُرباءَ، بل بينَ أفرادِ عائلتِها...

وأدرَكَت أنَّها فتاةٌ لا يَملِكُ قلبُها أيَّ خِيارٍ..

«السّجين 7842»

في زِنزانةٍ مُظلِمةٍ، كان السَّجينُ رقم 7842 يَعيشُ في ظُلماتِ الماضي.
سَنواتٌ طويلةٌ مَرَّت عليه، وهو يَحلُمُ بالحُرِّيَّةِ،
لكنَّ الأملَ بدأ يَتلاشى مع كُلِّ يومٍ يَمُرّ.
في يومٍ من الأيّامِ، وَجَدَ السَّجينُ كتابًا قَديمًا في الزِّنزانةِ.
كان عُنوانُه "قوّةُ العقل".
بدأ يَقرأُ الكتابَ، واكتَشَفَ أنَّ العَقلَ هو السِّجنُ الحقيقيّ.
قَرَّرَ السَّجينُ أن يُغيِّرَ حياتَه، وبدأ يُمارِسُ التَّأمُّلَ واليُوغا.
ومع مُرورِ الوقتِ، تَغيَّرَ السَّجينُ.
أصبَحَ أكثرَ قُوَّةً وتَصميمًا.
بدأ يُعَلِّمُ السُّجناءَ الآخرينَ ما تَعَلَّمَه، وسُرعانَ ما أصبَحَ قائِدًا لهم.
السَّجينُ، الّذي كان يُدعى أحمد، بدأ يُخطِّطُ للهُروبِ.
كان يَعلَمُ أنَّ الأمرَ لَن يكونَ سَهلًا، لكنَّه كان مُستعِدًّا للمُخاطَرةِ.
في لَيلةِ هُروبٍ غيرِ مُتوقَّعةٍ، وَجَدَ أحمد نَفسَه أمامَ بابِ الزِّنزانةِ المَفتوحِ.
نَظَرَ حَولَه، ورأى السُّجناءَ الآخرينَ يَنتظِرونَ إشارَتَه.
ابتَسَمَ أحمد، وخَطا خُطوةً إلى الأمامِ.
كانت هذه هي بَدايةَ الحُرِّيَّةِ.
بعد ساعاتٍ من الجَري والاختِباءِ، وَصَلَ أحمد إلى الحُرِّيَّةِ أَخيرًا.
نَظَرَ إلى السَّماء، وشَعَرَ بالامتِنانِ للحياةِ الجديدةِ الّتي بَدأت.
أحمد لم يَنسَ السُّجناءَ الّذينَ كانوا معه، بل عادَ إليهم لِيُساعِدَهُم على تَغييرِ حياتِهم.
أصبَحَ أحمد رَمزًا للأملِ والتَّحوُّلِ، وبدأت قِصَّتُه تُلهِمُ الكَثيرينَ.

الكاتِبة: تغريد الهُوَيدي.

«السّجين»

استيقظَ على صدى أصواتِ أقدامٍ تقترب.
الجدرانُ بيضاءُ رماديّةٌ باهتةٌ، لا لونَ لها، بلا نوافذَ، وباردةٌ — شدّةُ البرودةِ فيها عاليةٌ جدًّا.
أمامَه بابٌ معدنيٌّ كبيرٌ لا يُفتَحُ إلّا عندَ دخولِ رجلٍ عجوزٍ باهتِ اللونِ، ذو معطفٍ بُنّيٍّ، طويلِ القامةِ، صاحبِ شخصيّةٍ قاسيةٍ.
كان يتحدّثُ إلى السجينِ كلَّ يومٍ في الوقتِ نفسه والساعةِ نفسها، يجلسُ مُقابِلَه ويتحدّثُ إليه بنبرةٍ ثابتةٍ وقاسيةٍ:
"أنتَ هنا لأنّك اخترتَ أن تكونَ هنا؛ بينَ جدرانِ الماضي وذكرياتِك القديمةِ الصعبةِ والقاسية."
لكنَّ السجينَ لا يتذكّرُ حتّى اسمَه، ولا يعلمُ لماذا هو هنا!
عندما نظرَ إلى الجدرانِ، رآها تنظرُ إليه وكأنّها تتحدّثُ معه قائلةً:
"لماذا تفعلُ بنفسِك؟ ألا تملُّ من وضعِك وحُزنِك؟"
نظرَ إلى نفسِه وبدأ بكتابةِ ذكرياته وما يحدثُ معه، فكتب:
"أنا السَّجّان، ولا أعرفُ من هو سَجّاني.
أنا الذي أرادتِ الحياةُ أن تَسجُنَني بينَ أفكاري وماضيَّ.
لا أعلمُ ما نهايةُ طريقي..."
وفجأةً، توقّفَ عن الكتابةِ بسببِ صوتِ جرسِ الباب.
وعندما فُتِحَ البابُ، وجدَ العجوزَ ذو المعطفِ البُنّيِّ الباهت.

قالَ له السجينُ:
"ماذا تُريدُ منّي؟ ألا يَكفيكَ سجني ومُراقبتي من حينٍ إلى آخر؟"
فردَّ عليه العجوزُ قائلًا:
"لا، لن أتركَكَ وشأنَكَ. أريدُ أن أُتعِبَكَ أكثرَ فأكثر."
قالَ له السجينُ:
"أريدُ أن أسألكَ سؤالًا... هل أنا أُصِبتُ بالجنونِ حقًّا؟"
فقالَ له العجوزُ ساخرًا:
"لا... ليس بعد!"
بعدها، لم يأتِ أحد.
بقيَ وحيدًا، يحملُ دفترَه وذكرياتِه.
استيقظَ من نوبتِه وقالَ لنفسِه:
"ماذا أفعل؟ هل أُصِبتُ بالجنونِ فعلًا؟"
ثمَّ بدأ يضحكُ على نفسِه وكأنَّ أحدًا ما قالَ له نُكتةً...

الكاتِبة: زينة الحسين.

«سجينٌ متّهمٌ بجريمةِ الحُب»

ذاتَ يومٍ كان وائل ذاهبًا إلى المكتبةِ لينتقي كتابًا كعادته، لأنّه من عُشّاق القراءة.
وجمعتْه الصدفةُ بفتاةٍ بعبقِ الياسمين، مُعطَّرةٍ ومفعمةٍ بالحياة.
رأى في نظراتِها الكثيرَ من الكتبِ العريقة، ممزوجةً بلذّةِ القهوةِ وصوتِ فيروز ذاتَ صباحٍ جميل.
ومن تلكَ اللحظةِ، سلبتْ نَدى قلبَ وائل.
قادتهُ خطواتُه دونَ وعيٍ ليحادثَها ويتعرّفَ بها، وهُنا اشتعلت شرارةُ الحبِّ بينهما.
وبعدَ فترةٍ قصيرةٍ، وهما في ذروةِ حبّهما وأجملِ أيّامِ حياتِهما،
كان وائل يُخطّطُ ليفاجئَ ندى بأنّه يريدُ أن يتقدّمَ لخطبتِها بشكلٍ رسميّ.
لكنّهما ذاتَ يومِ التقيا في مقهًى،
وكانا يرتشفانِ القهوةَ معًا، وتناغمُ أرواحِهما يلفتُ أنظارَ كلِّ من في المكان.
وفجأةً، أتى والدُ ندى في وقتٍ ومكانٍ غيرِ متوقَّع.
وعندما رآهما معًا، غضبَ غضبًا شديدًا، ومنعَ ندى من رؤيةِ وائل أو التواصلِ معه.
تقدّمَ وائل وأهلُه لزيارةِ أهلِ ندى وخِطبتِها،
ولكي يعتذرَ ويُبرّرَ الموقفَ الّذي حدث،
وكان على ثقةٍ بأنّه لا يوجدُ سببٌ ليرفضَه والدُ ندى،
لكنّ الوالدَ كان مُحتدًّا جدًّا، ورفضَه رفضًا تامًّا.
لم ييأس وائل، ولم يستسلم،
وظلَّ يحاولُ إلى أن جاءَ ذلك اليومُ الّذي أخبرتْه فيه ندى بانسحابِها من العلاقة،

ودعتْه إلى حفلِ خطوبتِها من شخصٍ آخر، يوم الخميس القادم.
انصدمَ وائل، وكأنّ أحدًا أخبرَهُ بإصابتها بالسرطان واقترابِ موعدِ وفاته.
دخلَ في حالةِ اكتئابٍ شديدة،
أوقفَ دراستَه، وتوقّفَ عن القراءة،
وهو الّذي كان يَحلُمُ أن يعيشَ قصةَ حُبٍّ أسطوريةٍ تُتوَّجُ بالزواج.
وفي صباحِ يومِ الخميس،
لم يستطع وائل تجاهلَ موعدِ خطوبةِ ندى،
وقرّر أن يَلملمَ ما تبقّى منه حيًّا، ويذهبَ إلى تلك الحفلة.
حينَ رآها تُطلُّ بفُستانِها الورديّ،
وكأنّها مَلِكةٌ من مَلِكاتِ القصورِ في الرّواياتِ القديمة،
وشَعرُها ينسابُ كالمطرِ على جسدِها،
والكحلُ يُقبّلُ سِحرَ عينيها،
والرّوجُ أحمرُ دامٍ كقلبِها الحزين...
وأتى خطيبُها ليضعَ الدّبلةَ في أناملِها النّاعمة،
فقدَ وائل صوابَه وجُنَّ.
كان عصبيًّا جدًّا، ذا إصرارٍ وإرادةٍ قويّةٍ،
ولا يُوجَدُ المستحيلُ في قاموسِ حياتِه.
في تلكَ اللحظة، فقدَ أجملَ حُلمٍ مَرَّ في حياتِه،
ولم يستطِعْ أن يرى ندى وهي تُكتَبُ على اسمِ رجلٍ غيرِه.
ففي لحظةٍ من الجنونِ، أطلقَ النارَ على خطيبِها،

وكانت إصابتُه خطيرةً جدًّا.
انقلبَ الفرحُ حزنًا،
وكان مصيرُ وائل السجنَ لسنواتٍ طويلةٍ،
لكنَّه لم يندم، لأنَّه لم يسمحْ بخسارةِ حبيبته.
حينها، أدركت ندى ووالدُها وأهلُها مدى عشقِ وائل لها،
وشعرَ والدُها بالذنبِ الشديدِ لأنّه مَنَعه من الزّواجِ بابنتِه.
مضت سنينُ وائل داخلَ الزنزانة،
يتخيّلُ ندى، يرسمُ وجهَها على الجدران،
يؤلّفُ لها الأشعارَ ويكتبُها على النّوافذ.
وعندَ شروقِ كلِّ شمسٍ، كان يدعو أن تكونَ من نصيبِه يومًا ما.
كانت معه في كلِّ لحظةٍ، طيفُها لا يُفارِقه.
حتّى أنّها ذاتَ يومٍ أتت لزيارته في السّجن، وأخبرتْه:
"إنّي سأنتظرُكَ، حتّى وإن كانت مدّةُ سجنِكَ طوالَ حياتِك."

وبعد مرورِ سنواتٍ، عادتْ لزيارته،
لكنّ سببَ زيارتِها هذه المرّةَ كان مختلفًا.
أتت لتُخبِرَه بأنّ عفوًا عامًّا قد صَدَر،
وأنّ ذلك اليومَ هو آخرُ يومٍ له في الزنزانة.
خرجَ وائل من السّجن، ويداهُ مُتشبّثتانِ بيديها،
وبعد فترةٍ قصيرةٍ، تُوِّجَ حُبُّهما بالزواج.
قد صبَرَ... ونالَ وائل بـ ندى،
وكان مثالًا للحُبِّ والوفاءِ للرّجال.

الكاتِبة: غزل صياد

«سجينةُ الحلم»

هناكَ، في أحدِ أحياءِ المدينةِ القديمة، حيثُ الجدرانُ تتآكلُ من آفاتِ الزمن،
وُلدت ياسمين، الفتاةُ الّتي لم تَعرِف طَعمَ الحُلم.
كانت صغيرةً عندما غادرت والدتُها الحياةَ، وتركتها في عالمٍ قاسٍ مع والدٍ غارقٍ في همومِه،
فوقعَ على عاتقِها عبءُ العنايةِ بإخوتِها الصِّغار.
كانت ياسمين تجلسُ في الزاويةِ الصغيرةِ من غرفةِ منزلِها المتداعي،
تُراقبُ شروقَ الشمسِ الّذي كان يَغزو الأفقَ عبرَ نافذةٍ مكسورة.
كانت تشعُرُ بأنَّ قلبَها يتساقطُ معها، قطعةً قطعة.
كانت تَحلُمُ دائمًا أن تُصبحَ مُعلّمةً،
وأن تلمسَ حياةَ الأطفالِ وتُعلّمَهم كيفَ يَحلُمون.
لكنَّها كانت تَعلَمُ أنَّ تلك الأحلامَ مجرّدُ خيالٍ في عالمٍ لا يَرحم.
مرّت الأيّامُ، وانتشرت الحكاياتُ عن ياسمين في الحيّ،
تلك الفتاةُ الّتي كانت تبدو أكبرَ من سِنِّها، وأكثرَ حُزنًا من كلِّ من حولَها،
حيثُ اضطُرّت لوضعِ قلمِها جانبًا، والتشبّثِ بمقعدٍ في مصنعِ الأقمشةِ المتهالكِ لتوفيرِ لقمةِ العيش.
أضحت أجملُ أحلامِها محاصَرةً داخلَ قلبِها المُرهق،
في عالمٍ مليءٍ بالمسؤولياتِ الثقيلة.
لكنّها لم تتوقّف عندَ ذلك.

كانت تَصلُ الليلَ بالنَّهارِ لتعملَ في المصنع،
ثمّ تعودُ إلى منزلِها وتجلسُ مع إخوتِها،
تروي لهم القصصَ وتُعلّمهم الحروف،
رغم أنّها كانت قد نَسيت كيفَ يشعرُ المرءُ وهو يكتبُ حلمَه على ورقة.
كانت تُكرّرُ في نفسِها كلَّ ليلة:
"إذا لم أستطع أن أُحقّقَ حلمي، فلن أسمحَ لأحلامِهم أن تموت."
كانت تضغطُ على قلبِها حتى لا يسمعَ أحدٌ أنينَها.
وفي أحدِ الأيّام، جاءَ رجلٌ غريبٌ إلى الحيّ،
توقّف فجأةً أمامَ منزلِها، يحملُ في عينيه الأمل، وفي يديه كتابًا قديمًا.
نظرَ إلى ياسمين وسألها:
"أنتِ مُعلّمة، أليسَ كذلك؟"
أجابته بخجلٍ، وهي تَمسحُ دمعةً من عينيها:
"كنتُ أتمنّى..."
وعلى الرّغمِ من أنَّ قلبَها بقيَ مليئًا بالثِّقل،
إلّا أنَّ ياسمين شعرت أخيرًا بأنَّ شيئًا ما قد تغيّرَ في داخلِها.
فهي سَجينةُ أحلامِها، لكنَّ تلكَ الأحلامَ ما زالت تتنفّسُ من خلالِ إخوتِها،
وفي كلِّ لحظةِ ضَحكٍ، وكلِّ حرفٍ تعلّموهُ منها،
كانت إشراقةٌ جديدةٌ في عالمٍ مُظلِم.
عندها تعلّمت أنَّ الحياةَ ليست أن تَحصُلَ على كلِّ شيء،
بل أن تكونَ الشّخصَ الذي يزرعُ الأملَ في قلوبِ الآخرين،
حتّى وإن كانَ قلبُكَ مليئًا بالحُزن.

«سجين الكتب»

في مدينةِ فرانكفورت، كان خمسة أصدقاء: جاك، ليام، إيتان، صوفيا، وإيميلي، في المكتبةِ العموميّة لمراجعة دروسهم، كانت رفوف الكتب القديمة تعجّ بالهدوء، حتّى أنّ صوت تقليب الصّفحات كان يرنّ كصريرٍ في الصّمت، بينما كان جاك منهمكاً في كتبِ تحقيقات الجرائم، مازحه ليام: "كالعادة تقرأ شارلوك هولمز!" فأجاب جاك مبتسمًا: "ذاكرتي قويّة لا حاجة لي بالمراجعة."

فجأة، اخترق الصّمت صوت خطوات ثقيلة وهمسات غريبة، خرج جاك ليستطلع الأمر، فرأى رجال الشّرطة يستجوبونَ المدير وبعض الموظّفين، وهم يتحدّثون عن اختفاءِ الموظّف روبرت منذ يومين، واشتبهوا في قتله، امتزج فضول جاك بالخوف، وقرّر هو وأصدقاؤه البقاء للتّحقيق بسرّيّة.

بدأوا تفقّد المكتبة بحذر، وأوّل ما وجدته إيميلي كان ورقة ممزّقة بين صفحات كتاب قديم عليها رموز غريبة: " H 5 ؛ S 9 " . تتبّعوا خدوشًا على الأرض قادتهم إلى غرفة المصعد، حيث لاحظوا بقايا حبال وبقع دم متجمّدة، اقتربوا من المصعد القديم، وكان الهواء بارداً ومرعبًا. رفع جاك كيسًا أسودًا على سطح المصعد، وما إن فتحوه حتّى صُدموا: أجزاء من جثّة روبرت مقطّعة، الرّقبة تحمل آثارَ خنق، والدّماء غطّت الحديد البارد.

فجأة، ظهر الحارس بعينيه المملوءتين بالغضب والجنون. فهمَ ليام أنّ الرّموز تشير إلى مكان ما: "القاعة الخامسة، الرفّ التّاسع". نظر ليام للحارس ببلاهة قائلا:" هذا أنت أيّها الحارس، جئت في وقتك لقد نسيت حقيبتي و نحن نبحث عنها" نظر له الحارس بغضبٍ وأجاب: " كفّ عن هذا تبحث عن حقيبة في منتصف اللّيل، تعال لأقول لكَ أمرا" صاح ليام:" هيّا اركضوا بسرعة و اتبعوني... انتبهوا منه" بدأت مطاردةٌ مرعبة في أروقة المكتبة، حيث الكتب تتطاير، والأرض مليئةً بالدّماء، صرخاتُ صوفيا وإيميلي امتزجت بخشخشة خطوات الحارس، بينما استخدم جاك معرفته بالمكان لإرشاد الجميع، وأوقف إيتان وليام الحارس بإسقاط رفوف صغيرة لإبطائه.

تمكّنوا في النّهاية من محاصرته وكبّلوه، ثمّ ذهب ليام وإيميلي لاكتشاف لغز القاعة الخامسة عند الرّف التّاسع، وجدوا كتب الأطفال في المقدّمة، والبقيّة مخفيّة بطريقةٍ غريبة، وبعضها صُمّم لإخفاء الممنوعات، فهموا أنّ الحارس كان يبيع الممنوعات، وروبرت اكتشف الأمر فقرّر الحارس التّخلّص منه.

حينٍ حاول الحارس الفرار، وصلت الشّرطة وأمسكت به، منهيةً المطاردة، خرج الأصدقاء مع شروق الصّباح، والهدوء يعمّ المكان، والدّماء على الأرض تذكّرهم بما اكتشفوه. الشّجاعة أنقذتهم، والمكتبة بصمتها ورفوفها تحمل أسرارًا قاتلة، والرّعب بقي محفورًا في أعماقهم، كأنّ كلّ ظلٍّ وكلّ رفٍ يمكن أن يحمل الموت في أيّ لحظة.

الكاتِبة: شيماء الوزوازة.

«سجين الذكريات»

كان "كمال" يسكن في شقّةٍ صامتة، تملؤها رائحة الغبار وأطياف الماضي. جدرانها كانت مُعلّقة بلوحاتٍ لم يكتمل رسمها، ورفوفها تحمل كتبًا لم يلمسها منذ سنوات.

كان سجينًا في زنزانةٍ من صنع ذاكرته، لا يقوى على هدم قضبانها. "ليلى" شقيقته، كانت تزوره كلّ مساءٍ حاملةً معها طبقًا من الحلوى وكلماتٍ تملؤها الحنان، كانت تحاول بشتى الطّرق جرّه إلى شاطئ الحاضر، لكنّه كان يسبح عائداً إلى أعماق بحرٍ غرق فيه قبل خمس سنوات، يوم رحلت "فاطمة"، زوجته، من دون عودة.

" د. ناصر"، صديقه القديم وطبيبه النّفسيّ، كان يحاول بكلّ صبرٍ أن يفتح نافذةً في جدار كمال المغلق، كان يزوره مرّتين أسبوعيّاً، لا يحمل حقنةً مهدّئة، بل يحمل أسئلةً بسيطةً وقاسيةً في آنٍ واحد.

في أحدِ الأيّام، بينما كانت ليلى تتزيّن للخروج في نزهة، انفجر كمال غاضبًا: اتركيني، ذاكرتي هي كلّ ما تبقّى لي، هل تريدين أن تسلبيها منّي أيضاً ؟ ! "

كان د. ناصر حاضرًا تلك اللّحظة. نظر إلى كمال بهدوء وقال: لم أقل لك أبدًا أن تنسى، كلّ ما طلبته منك هو أن تُطلق سراح نفسك من السّجن، فاطمة كانت نورًا، ولا يُكرَم النّور بإطفاء شمعة الحاضر."

ساد صمتٌ ثقيل، نظر كمال حوله فرأى دموع ليلى المتساقطة كندى الصّباح، رأى وجه فاطمة في عينيها، تذكّر كم كانت تحبّ الحياة، في تلك اللّحظة، لم يشعر بأنّه يخون ذكراها، بل أدرك أنّه كان يخون الحياة الّتي منحته إيّاها.

لم تكن تلك نهاية ألمه، فالجروح لا تندمل بين ليلةٍ وضحاها، لكنّها كانت المرّة الأولى الّتي مدّ فيها يده ليلمس قفل باب سجنه، مُقتنعاً أنّه يحمل المفتاح

الكاتِبة: سارة جواد

«ظلٌ ينتظرُ الاعتذار»

كان المطر يهطل كأنَّ السَماء تبكي شيئاً لا يُغتفر.
في أطراف المدينة، يقف بيتٌ قديمٌ منسيّ، نوافذه مغلقة منذ سنين، وأبوابه تصدر صريراً كأنّها تتألّم من الذّاكرة، النّاس يقولون أنَّ البيت مسكون، لكن الحقيقة أنّه مسكون بذكرى واحدة فقط.
لمار لم تصدّق القصص، كانت شجاعة، عاشقةً للأماكن الغامضة، فقرّرت أن تزور البيت لتكتب عنه مقالاً، حين دخلت، كان الهواء ثقيلاً، كأنَّ الغبار نفسه يحمل أسراراً، على الجدران صور باهتة لامرأةٍ تبتسم، لكن ابتسامتها كانت ترتجف، وفي منتصف الغرفة الكبرى، كان هناك كرسيّ خشبيّ مكسور، وعلى الأرض مرآة مائلة تعكس زاويةً من العدم.
اقتربت لمار، حدّقت في المرآة فرأت رجلاً جالساً على الكرسيّ، رأسه منحنٍ، يداه مربوطتان، وعيناه مملوءتان برجاءٍ صامت. صرخت والتفتت، فلم تجد أحداً. المرآة فقط كانت ترتجف بخفّة. خرجت تجري نحو الباب، لكنّه لم يُفتح، سمعت صوتاً يهمس من خلفها: لا تخافي أنا لم أؤذِ أحداً فقط نسيت أن أغادر.
التفتت ببطء، والرّجل كان هناك فعلاً، وجهه شاحب كالرّماد، وفي عينيه خيبةُ مئة عام. قالت بخوف: من أنت؟ ابتسم وقال: سجينٌ،

لكن ليس كما تظنّين، أنا سجينُ الذّكريات، ثمّ أشار نحو الجدران، فبدأت الصّور تتحرّك، تظهر امرأة تبكي ثمّ تختفي، ثمّ صوت صراخ، فصمت.

قال: كنت أحبّها بجنون، لكنّها رحلت في ليلةٍ تشبه هذه، كلّ ليلة أسمع خطواتها، أحاول أن أعتذر، لكنّني لا أستطيع مغادرة هذا المكان، كلّ الذّكريات صارت زنزانتي، وليتها لو صارت قيداً حول رقبتي.

اقتربت منه لمار والدّموع في عينيها، وهمست: يمكن أن تُغادر لو غفرت لنفسك، نظر إليها بدهشة، ثمّ أغمض عينيه ببطءٍ، كمن استراح بعد حربٍ طويلة، تلاشى كالدّخان، وهدأ كلّ شيء.

حين فُتح الباب أخيراً، خرجت لمار إلى المطر، تنظر خلفها للبيت وقد خفتت أضواؤه كأنّه تنفّس للمرّة الأخيرة، وفي اليوم التّالي، حين عادت لتكتب مقالها، رأت شيئاً غريباً على الورقة أمامها: شكراً لأنّك فتحت الباب.

تجمّدت أصابعها، لكنّها ابتسمت، فهمت أنّ بعض الأرواح لا تُحرّرها الطّقوس، بل كلمة صدقٍ تُقال في الوقت المناسب.

«السّجينُ الحر»

في زاويةٍ ضيّقة من زنزانةٍ رماديّة، جلس سامي يراقب الضّوء الشّاحب المتسلّل من ثقبٍ في الجدار.
لم يكن يعرف كم مرّ من الوقت منذ آخر مرّة رأى فيها الشّمس كاملة، لكنّه كان يعرف أنّ صوته تغيّر، وأنّ صمته أصبح أثقل من السّلاسل في معصميه.
كلّ مساء، يأتي الحارس ليفتح الباب الحديديّ ويضع صحن الطعام، لم يتبادل معه سامي كلمةً واحدة منذ شهور، لكن في تلك اللّيلة، حدث شيء غير متوقّع، حين فتح الحارس الباب، قال بصوتٍ خافت:
"اليوم أطلقوا سراحك."
تجمّد سامي في مكانه، لم ينهض، لم يتحرّك، فقط رفع رأسه ببطء وسأل: "سراح مَن؟"
نظر إليه الحارس باستغراب: "سراحك يا رجل، أنت حرّ."
ضحك سامي، ضحكةً قصيرة وغريبة، كأنّها خرجت من فمٍ نسيَ شكل الابتسامةِ ثمّ قال:
"ومَن قال أنّي سجين؟"
تراجع الحارس خطوة، حائرًا، بينما تابع سامي بصوتٍ هادئ كأنّه يحدّث نفسه: "أنا خرجت من هنا منذ زمن... يوم توقّفتُ عن الانتظار."

ثمّ أدار وجهه نحو الجدار، نحو الثّقب الّذي صار نافذته الوحيدة، وجلس كما كان، أغلق الحارس الباب ببطء، وعاد أدراجه في الممرّ، صدى المفاتيح كأنّها تضحك، وفي الدّاخل جلس السّجين الحرّ مبتسمًا في عزلته، ينتظر أن يبدأ الصّباح الجديد في قلبه فقط.

مع أوّل شعاع خافت من الفجر، شعر سامي بأنّ الزنزانة لم تعد زنزانة، لم يعد الحديد يثقل كاهله، ولم يعد الجدار رماديًا كما كان، فتح عينيه على الضّوء وكأنّه يفتح نافذةً داخل نفسه، نافذة لم يعرفها منذ سنوات.

نهض ببطء، مشى بخطواتٍ صغيرة كأنّها ترقص على الأرض الباردة، لم يكن هناك أيّ شيء جديد في الغرفة، إلّا أنّه كان يرى كلّ شيء للمرة الأولى، البقع على الجدار، خيوط الغبار على الأرض، حتّى صوت قطرات الماء المتساقطة من سقف الزّنزانة بدا وكأنّه موسيقى.

جلس سامي على الأرض مرّة أخرى، لكن هذه المرّة لم يكن ذلك من أجل انتظار الحرية من الخارج، بل من أجل أن يعيش الحرّية داخله.

أخرج من جيبه قطعة صغيرة من الفحم، بدأ يرسم على الجدار صوراً لم يجرؤ على تخيّلها في حياته السّابقة: شمس كبيرة، طيور تحلّق، أشجار تتمايل مع الرّياح، كلّ رسمة كانت تهمس: "أنت حرّ".

مرّت ساعات وأيّام، لم يخرج سامي من الزّنزانة، ولم يطلب ذلك أبداً، لكنّه لم يعد أسيراً لأيّ شيء، لا للوقت، ولا للآخرين، ولا حتّى لخيالاته القديمة.
كان العالم كلّه بداخله، والحريّة الحقيقيّة لم تكن في فتح الباب الحديديّ، بل في أن يختار أن يعيش كما يريد.
وفي يومٍ ما، عندما جاء الحارس ليفتح الباب كالمعتاد، وجد الزّنزانة فارغة... إلّا من رسومات سامي على الجدار، وابتسامةٍ صغيرة محفورة على كلّ زاوية. لم يكن أحد ليعرف أين ذهب، لكنّه ترك وراءه حقيقة بسيطة: أحياناً السّجن الأكبر ليس الحديد ولا الجدران، بل الخوف من أن نكون أحراراً.
وبينما غابت خطواته عن الممرّ، بقي صدى ضحكته عالقاً في الزّنزانة، ليذكّر كلّ من يدخلها بأنّ الحرّيّة تبدأ من الدّاخل، قبل أيّ باب يُفتح، أو سجن يُغلق.

الكاتِبة: جلنار العبد الله.

«السّجين»

فِي مَكَانٍ يَسُودُهُ الظَّلَامُ والصَّرَاخُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَأْتِي رَجُلٌ بِعَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ مِن شِدَّةِ الغَضَبِ، وَيَضْرِبُ بِكُلِّ قَسْوَةٍ شَابًا يُدْعَى «مَجْدُ».

مَجْدٌ -بِضَحِكَةٍ عَالِيَةٍ-: «اضْرِبْ! اضْرِبْ، سَآخُذُهَا أَنَا.»

اسْتَمَرَّ فِي الضَّرْبِ بِقُوَّةٍ أَكْثَرَ، لِدَرَجَةٍ أَنَّ يَدَيْهِ لَمْ تَعُدَا تَسْتَطِيعَانِ تَحْرِيكَهُمَا. وَمَجْدٌ -الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ الدَّمُ- لَمْ يَسْتَسْلِمْ، فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى جُنُونِهِ. رَحَلَ كَرَمٌ وَهُوَ غَاضِبٌ، وَبَقِيَ مَجْدٌ مَرْبُوطًا بِالسَّلَاسِلِ يَتَأَلَّمُ مِنَ الوَجَعِ.

فَجْأَةً سَمِعَ صَوْتَ حَبِيبَتِهِ كَارْلَا: «أَتَيْتُ، وَاللَّهِ أَتَيْتُ!» مَعَ بُكَاءٍ يَخْرُجُ مِنْ نَفْسِهَا. ضَحِكَ مَجْدٌ بِحَسْرَةٍ، قَائِلًا: «عُدْتُ لِلْأَوْهَامِ وَالْخَيَالِ.»

لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِأَنَامِلِ كَارْلَا عَلَى وَجْهِهِ؛ نَظَرَ إِلَيْهَا بِوَجَعٍ كَبِيرٍ.

كَارْلَا: «أَنَا أَتَيْتُ لِأُنْقِذَكَ، لَا تَقْلَقْ.»

مَجْدُ: «ارْحَلِي مِنْ هُنَا.»

كَارْلَا: «لَا، سَأُنْقِذُكَ.»

بَدَأَتْ تَفُكُّ السَّلَاسِلَ عَنْهُ، وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ بِبُكَاءٍ عَلَى حَالِهِ.

اسْتَطَاعُوا الْهُرُوبَ، لَكِنَّهُمْ وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي غَابَةٍ لَا يَعْلَمُونَ إِلَى أَيْنَ يَرْحَلُونَ وَكَيْفَ. رَأَى مَجْدٌ كُوخًا فَجَلَسُوا هُنَاكَ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ مَجْدٌ التَّحَمُّلَ فَنَامَ عَلَى كَتِفِهَا مِنْ كَثْرَةِ الْوَجَعِ والتَّعَبِ.

كَارْلَا: «آهِ يَا حَبِيبِي، كُلُّ هَذَا بِسَبَبِ حُبِّي، لَكِنِّي أَعِدُكَ أَنْ نَعِيشَ حَيَاةً جَمِيلَةً.»

لَكِنَّهَا لَمْ تَعْلَمْ مَاذَا يَخْبَؤُهُ الْقَدَرُ لَهُمَا.
عِنْدَ الصَّبَاحِ اسْتَيْقَظُوا عَلَى صَوْتِ الْعَصَافِيرِ؛ نَظَرُوا إِلَى بَعْضِهِمْ بِحُبٍّ. قَامَ مَجْدٌ وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ لَا يَتَأَلَّمَ.
مَجْدٌ: «سَنَذْهَبُ مِنْ هُنَا، يَا صَغِيرَتِي.»
كَارْلَا: «لَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَأْكُلَ.» نَظَرَتْ بِحُزْنٍ، فَكَيْفَ؟
مَجْدٌ: «عَلَيْكِ أَنْ تَبْقَيْ هُنَا مَهْمَا حَدَثَ؛ لَا تَخْرُجِي، هَلْ سَمِعْتِ؟ وَلَا تُنَاقِشِينِي بِأَيِّ شَيْءٍ.»
كَارْلَا: «فَهِمْتُ.»
خَرَجَ مَجْدٌ مُتَأَلِّمًا يَبْحَثُ عَنْ طَعَامٍ، فَبَسَمَتْ وَجْهُهُ ضَحْكَةٌ خَفِيفَةٌ لَمَّا رَأَى شَجَرَةَ التُّفَّاحِ. تَسَلَّقَ وَقَطَفَ فَاكِهَةً وَأَكَلَ لِيَسْتَرْجِعَ قُوَّتَهُ. عَادَ سَعِيدًا حَامِلًا التُّفَّاحَ بِيَدِهِ، وَلَكِنَّ الْفَرَحَ تَحَوَّلَ فَجْأَةً إِلَى غَضَبٍ وَحُزْنٍ عَظِيمٍ لَمَّا رَأَى كَارْلَا بِيَدِ كَرَمٍ، الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِالْقَسْرِ.
رَكَضَ مَجْدٌ مُسْرِعًا، وَابْتَدَأَ الْقِتَالُ. تَقَدَّمَ مَجْدٌ مُسْتَبْسِلًا لِيَحْمِيَ كَارْلَا، فَضَمَّهَا بِقُوَّةٍ، وَفَجْأَةً أَطْلَقَ كَرَمٌ رَصَاصَةً. امْتَلَأَ الْمَكَانُ بِالدَّمِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ دَمُ مَجْدٍ؛ كَانَ دَمُ كَارْلَا الَّتِي رَكَضَتْ تَحْتَفِظُ بِهِ عِنْدَمَا رَأَتِ الرَّصَاصَةَ. رَحَلَ كَرَمٌ وَهُوَ مُنْهَارٌ، وَبَقِيَ الْآخَرُ يُحَاوِلُ أَنْ يُنْقِذَهَا، لَكِنْ لَا فَائِدَةَ، فَقَدْ صَعِدَتْ نَفْسُهَا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ.
مَجْدٌ: «أَعِدُكِ أَنِّي سَأَنْتَقِمُ مِنْ عَائِلَتِكِ وَمِنْ كَافَّةِ مَنْ كَانَ سَبَبًا فِي حُزْنِكِ وَفِي قَتْلِكِ. سَأُصْبِحُ سَجِينًا لِانْتِقَامِكِ، أَعِدُكِ. إِنَّ قِصَّتَنَا الْآنَ تَبْدَأُ وَلَنْ تَنْتَهِي»

«السّجين»

هُناكَ فِي تِلكَ القُرى البَعيدَةِ ،حَيْثُ كَانَ يَقطُنُ راغِبٌ ...ذَاكَ الشَّابُّ الذي ارْتَسَمتْ على وَجْهِهِ مَلامِحُ الحَنينِ ...و سَكَنتْ فِي نبْرةِ صَوتِهِ تَرَانيمُ الاشْتياقِ..

نَعمْ ..إنَّه سَجينُ ذِكرَياتِهِ ...كلَّما حَاولَ الهُروبَ مِنها وَجدَها تُلاحقُهُ كَأشْباحِ اللَّيلِ ..تَنبِضُ في قَلبِه و تَقْرعُ في رَأسِه و كَأنَّها أقفَالٌ حَديديَّةٌ لا تَنكَسر . .

هُناك . . في كلِّ زَاوِيةٍ مِن زَوايَا ذِهنِه كانَ يَعيشَ في سِجنٍ لا أسْوارَ لَه و لا قُضْبانْ ...لا فُصُول.. لا أوْقَات ..حَيثُ هُو وَحدَه ..فَجأةً و لِبُرهةٍ ،يَبتسِمُ و سُرعانَ ما تَخْتفِي تلكَ الابتِسامَة التي يُغالبها نَجيشُ البُكاءِ..أسِيرٌ داخلَ نَفسِه ..إنَّه كَمن يَحْملُ سِجنَه عَلى ظِهرِهِ ...إنَّها الذِّكريات ...الماضِي العَتيق ...كُلُّها لَحْظاتٌ لا زالَتْ مَنقُوشةً في تَلافِيفِ دِماغِه . . .

تائِهٌ في ماضٍ يتَسلّل إلى رُوحَه بينَ لَحظةٍ وَ أُخرَى حَتَّى أصْبحَ جُزءاً مَن أنْفاسِه التي تَكادُ أن تَنْقطِع..

و كَأنَّ الزَّمانَ قطَعَ عَلى نفْسِهِ عَهداً أنْ يَضغَطَ على صَدرِهِ ..و أنْ يُرهِقَ كلَّ ذرَّةٍ مِن ذَرَّاتِ جَسَدِه . . .

مِسكِينٌ ذَاكَ الشَّابُّ الذي لم يُسجَن في سجنٍ جدرانُه من حَجر ...بَل في زِنزانةٍ من وخْزِ الإبَر..

يركضُ تائِهاً في ذَاكَ الوَادِي باحِثاً عَن الأمَلِ ...باحِثاً عَن المُستَقبل

باحثاً عن شَمعةٍ تُنِيرُ طريقَهُ..علَّ ذَاكَ الضَوءُ الخافِتُ
يَكونُ مفْتاحُ الحُرِّيةِ...
مِسكِينٌ ذَاكَ الأسِيرُ الّذي عاشَ شَبَابهُ بيْنَ مَاضٍ لا يَرْحمُ
و ذِكرَياتٍ لا تُشفِق..
تِلكَ هي الذّكريات التي لا تُنسى ..بل تُحبَسُ داخِلَ أفئِدتِنا
الضَّعيفَةِ إلى الأَبَدِ . . .
تُرافِقنَا و تنْتَظرُ الفُرصَةَ للِظهُورِ مَرَّةً أُخرى..فَقَط لتُخبِرنا
أنّنا لَن نَكون إلَّا سُجناءَ في قَبْضتِها...
يا لِقسوةِ الأيَّامِ عَليْنا...

«السّجين»

في أحدِ أزَّقةِ المَدينةِ المَهجُورَةِ، كانتْ "أملُ" تعِيشُ في مَنْزل صَغيرٍ يضِيقُ بأحلامِها، مَع ابْنها "أحمد" و والَدَتها "أحلام". كانَ وَالِدها، أحمدُ الكَبير، رَجلاً قاسيًا لا تُثيرهُ دمْعةً ولا تَلِينُه ابتِسامَةٌ. أمَّا الأُم، فَقد كانتْ حَنُونة بِطَبعِها، لَكنَّ قَسْوةَ الحَياةِ سَرقتْ مِنها دِفئَ المَشاعِرِ، وتَركَتْها شَبحًا لِما كَانتْ عَلَيه.

ذاتَ مَساءٍ، وَقفَتْ أَمَلُ أَمامَ وَالِدها، تتوَسَّلُ بِصَوتٍ خافِتٍ:

"أبي، أرجوك... أريدُ أنَ أغيّر الجَو، لَقَد ملَلتُ البَقاءَ في المَنزِل."

نظر إليها بجمود، وقال بحدة:

"انتَهى الكَلامُ .لا خُروجَ لكِ مِن المَنزِلِ. هلْ تُريدِينَ أنْ تُسِيئي إلى سُمعتي؟ ألا تَرْين كَيْف أَصبَح الوَقْتُ مُخيفًا؟"

ردّتْ أمَلْ، بِصوتٍ يَرتجِفُ:

"ولكنْ يا أَبي... أنا ابْنتُك!"

صرَخَ مجدّدًا:

"انتَهى الكَلامُ يا أمَل!"

انسَحبَتْ أملُ مِنْ أَمامِهِ،تَجرُّ خَيبَتها كأنَّها تَجرُّ سَلاسِلِ حَديديَّة. منْذ أشْهرٍ، لم ترَ الشَّمسَ إلا مِن نافذِةٍ صغيرةٍ في غُرفتها، وكأنَّهُ حُكمَ عَليها بالسَّجنِ دونَ ذنبٍ.

لمْ تكُنْ تلُومُ نفسَها، بلْ كانَتْ تَلُومُ مُجتمعًا لوَثَ البَراءةَ، وأغلقَ الأبوَابَ فِي وجْهِ النَّقاءِ.

همست لنفسها، وهي تحدّق في الضوء المُتسَللُ منَ النَّافذةِ:

"أيُحكم على إنسانٍ بَريءٍ بالسَّجنِ؟ أيُغلقُ عليْهِ البَابُ وهو لمْ يَرْتكِب جُرمًا؟ لعَن اللهُ مجتمعًا يلوَثُ الطُّهرَ، ويُلقِي بالفتَنِ والرَّذيلةِ في دُروبِنَا."

كانَت أملُ سجينةٌ، لا في غرفةٍ ضيِّقةٍ فَحَسْب، بلْ فِي عالمٍ لا يرحم، في زَمَنٍ لا يسْمعُ، وفي قَلبٍ لمْ يعرفْ الحبَّ يومًا.

الكاتِبة: أرزاق الكامل

«الصّرخة الصّامتة»

في منتصفِ اللّيل، تحديدًا عند الواحدة، كانت نوافذ المنزل المجاور تُطرق بعنف، كأنّ عاصفةً هوجاء تحاولُ اقتلاع كلّ شيء، اقتربتُ من نافذتي أترقّب ما يعكّر صفو نومي، فتحت الزّجاج ببطء وكأنّني أتهيّأ لرؤيةِ شبح يسكن ذاك المنزل، وأخشى أن يفرّ إن رآني.

منزلي قريب جدّاً من ذلك المنزل المهجور، حتّى أنّ النّوافذ تكاد تلتصق وكأنّهما بيت واحد، لكن حين فتحت النّافذة، لم أجد شيئًا، لا هواء، لا حركة، فقط حرّ الصّيف الخانق، عزمتُ على البقاء قليلًا، علّني أكتشف مصدر الإزعاج، وبينما يغلبني النّعاس، اشتعلت الأضواء فجأة داخل المنزل، وظهرت ظلال تتحرّك كأنّها لأشخاص يسكنونه، حاولت التّركيز لكنّني يئست وعدت إلى النّوم.

في الصّباح، طلبت إجازة من عملي وذهبت إلى منزل العمّ جابر، العجوز الّذي يسكن في الجهة الأخرى من المنزل المهجور.

ياعم، هل لديك وقت لنتحدّث؟

- سامر، يبدو أنّهم أزعجوك.

- من هم؟ أقصد... المنزل المجاور، أنت تعرفه جيّدًا، فقد عملت مع تلك العائلة.

- فهمت مقصدك، ادخل لأعدَّ شيئًا نشربه ونتحدّث.

دخلت منزله، فلاحظت أنّه خالٍ من الأثاث كأنّه يستعدّ للرّحيل، سألته: هل تنوي السّفر؟

فأجاب: دعنا نبدأ حديثنا، المنزل الّذي تتحدّث عنه ليس كما تظنّ، إنّه حيّ، وساكنوه لم يموتوا كما يقال.

- لكن الجميع يقولون أنّه مهجور منذ سنوات.

- إن أردت أن تتأكّد، سندخله اللّيلة معًا.

رغم خوفي وافقت، وفي اللّيل خرجت من منزلي، فوجدت العمّ جابر ينتظرني ومعه كلبه.

تقدّمنا نحو المنزل، خطواتي كانت ثقيلة تدعوني للهرب، لكنّني تذكّرت وعده بالسّكينة.

دخلنا وكان الظّلام يعمّ المكان، العمّ جابر تقدّم دون مصباح، فقط هاتفه يضيء طريقه، فجأة، اشتعلت الأنوار، وظهر العم من إحدى الغرف.

- هل وجدت شيئًا؟ أين السّكان؟

- اتبعني.

قادني إلى حفرةٍ تحت الأرض، وعند وصولنا، دفعني إليها. سقطت، وسمعت صوت إغلاق الغطاء فصرخت: ياعم! لا تتركني!

لكن لا مُجيب، المكان مظلم خانق، والبرد ينهش جسدي.

استيقظت صباحًا في منزلي، لكنّني لم أكن بخير، جسدي يحمل آثار حروق، وذاكرتي مشوّشة، خرجت فوجدت أنّ منزل العمّ جابر قد اختفى، بينما المنزل المهجور ما زال في مكانه.

ومنذ تلك اللّيلة، أحبَس كلّ ليلة في تلك الحفرة، وأستيقظ بجسدي مثقلًا بالعذاب.

وفي إحدى اللّيالي، وجدت رسالة على نافذتي، مكتوبة بخط مرتجف، كأنّها كُتبت من يدٍ لا تنتمي لهذا العالم:

"الّذين يسكنون تحت الأرض لا ينسون من رأوا وجوههم... لقد أصبحت واحدًا منهم"

«سجين الحب»

لم يكن "وطن" يخشى شيئاً في حياته سوى أن ينسى وجه حبيبته "قمر" الّتي اختفت قبل عامين دون أثر، بعد زلزالٍ ضربَ قريتهم، لذلك، عندما عادَ إلى المنزل المتهدّم، لم يفكّر في الرّعب بل في الذّاكرة، في لحظاتٍ جميلة مع قمر،
في ليلةٍ باردةٍ بينما كان وطن ينام على ركام غرفةِ نومهما، استيقظ على رائحةٍ مألوفة، رائحة عطرِ قمر المفضّل، الياسمين والمسك. كانت الرّائحة قويّة جدّاً، وكأنّها خرجت للتّوّ من زجاجة، نهض مراد وقلبه يخفق شوقاً ورعبًا. اتّبع الرّائحة حتّى وصلت به إلى حائط الغرفة الّذي انهار جزئيّاً. هناك، كانت الرّائحة تتصاعد بقوّة من ثقبٍ ضيّق.

مدّ مراد يده إلى الثّقب وحاول توسيعه، وبمجرّد أن أزاح بعض الحجارة حتّى تجمّد الدّم في عروقه. لم يكن هناك سوى فراغ أسود وبارد، لكن من داخله، سمع صوتًا خافتاً يهمس: وطن، أنا هنا.

كان صوت قمر، سحب وطن الحجارة بعنف، وكشف عن فجوة كبيرة، نظر إلى الدّاخل، ولكنّه لم يجد قمر، بل وجد صندوقاً خشبيّاً قديماً، كان الصّندوق مغلقاً بسلسلة صدئة ملفوفة حوله بإحكام.

بأصابعه المرتجفة، كسر وطن القفل، فتح الصّندوق، لم يجد فيه شيئًا ثمينًا، بل وجد خصلة من شعر نور الأسود اللّامع، وإلى جانبها مرآة صغيرة مكسورة الأطراف.

في تلك اللّحظة، تحوّلت رائحة العطر الجميلة إلى رائحة عفن كريهة.

ارتعب وطن وهو يمسك بالمرآة، وفي انعكاسها لم يرَ وجهه بل رأى قمر. كانت تبدو كما كانت قبل عامين، لكن عيناها كانتا فارغتين تمامًا، وشفتها تنطق بصمت.

اقترب منها في المرآة، فمدّت يدها نحوه، همست بصوتٍ أجوف: لقد أصبحتُ أسيرة هذا المكان، روحي محبوسة في هذه المرآة، وأنت الآن يجب أن تبقى معي.

قبل أن يتمكّن وطن من سحب يده، تحوّلت قمر في المرآة إلى وجه متّسخ، عيناها تشتعلان بغضبٍ قديم، ويداها تمسكان بذراعه بقوّة غير مرئيّة. شعر ببرودة الجليد تخترق جلده، وبألم مروّع في قلبه.

صرخ وطن محاولاً الابتعاد عن المرآة الملعونة، لكنّه لم يستطع، شعر أن شيئًا يسحبه إلى الدّاخل، إلى العالم الزّجاجيّ البارد حيث لا وجود إلّا للذّاكرة السّجينة.

في الصّباح، وجد عمّال الإنقاذ وطن جالساً عند جدار المنزل المنهار. كان جامدًا كتمثال، يده ممدودة داخل الثقب. كانت عيناه مفتوحتين على وسعهما، تنظران إلى الفراغ بابتسامة غريبة، وكأنّه يرى شيئًا جميلًا ومخيفًا في آن واحد.

وفي يده الممدودة، كانت هناك مرآة صغيرة واحدة، لكنها كانت نظيفة ولامعة، تعكس وجه وطن وربا معًا، وجهان سعيدان وميّتان، سجينان للحبّ في جدارٍ منسيّ.

الكاتِبة: فاطمة الدالي

«الغابة المنيرة»

في ليلةٍ قمريّة خالية من النّجوم والسّكون قد عمَّ المكان، حيثُ قرّر الأصدقاء استكشاف غابة قد حُذّر منها كثيراً، حيث كان بين الأشجار الملويّة النّحيفة بيتٌ قديم يخرج منه أصوات صاخبة وتخرج منه كلمات غير مفهومة، فقرّروا الاقتراب قليلاً وقد وطأت أقدامهم بحذرٍ نحو ذلك المنزل، وهم في ريبةٍ وفضول ينتابهم، هل هُناك أحداً فيه؟ كانت معهم فتاةٌ حنطيّة البشرة، ذات رموشٍ طويلة وغمازة على خدّها الأيسر، اسمها لميا، أمّا عن أيمن فكان عكسها تماماً، كان ساطع البياض وطويل القامة ولايحبّ الخطر أبداً، يخاف عليها من أن يصيبها مكروه بسبب حماسها الزّائد دائماً، اقتربت لميا من ذلك المنزل ولم يبقى بينها وبينه سوى بضعة أقدام.

أيمن: احذري يالميا ولا تنسي بأنّ هذه الغابة خطِرة

خالد: لميا تعرف جيّداً ماذا تفعل، أيّها الجبان دعها وشأنها.

اقتربت لميا ولم تسمع حديثهم ولم تعرهم أيّ اهتمامٍ قط، حتّى فتحت الباب وإذا بها تسمع أصواتاً صاخبة وصوت أقدام تقترب منها ولكنّها لم ترى أشخاص هناك،

لميا: هل يوجد أحداً هُنا؟

لم يجبها أيّ أحد واستمرّت تلك الأصوات تعلو كلّما اقتربت،

نادت على أيمن وخالد لتطمئنّ عليهما وهي تنادي، هل لازلتم هُنا؟ أجابها أيمن والخوف يملأ صوته: نحن هنا وأعتقد بأنّ علينا العودة، فالأصوات آلمت رأسي من شدّة صخوبتها. خالد: ألم أقل لكَ جبان؟
استمرّ أيّها الأحمق، أليس من العيب أن تدخل فتاة ونحن ننظر من الخارج.
وسط حديثهما امتدّت يداً من خلف الجدار كبيرة الحجمِ ومغطّاة بالدّم القاتم، وإذا بها تسحب لميا نحوها، وبدأ أيمن بالصّراخ ما هذه ياعزيزتي؟!!
سرعان ماغابت لميا عن وعيها وسقطت أرضاً من شدّة خوفها،
فأخذتها اليد وقامت بإدخالها لداخل ذلك البيت الغامض، وقامت بقطع رأسها عن جسدها، أيمن لم يحتمل وبدأ بالصّراخ والبكاء وقد ملأ الدّمع عيناه الصّغيرتان، وخالد يطبطب على كتفه وقلبه يحترق كالنّيران.
خالد: اهدأ، علينا العودة قبل أن يشعروا بنا وإلّا سنقتل جميعاً.
أيمن:ماذا عن لميا؟
خالد:تقصد جثّة لميا، لميا أصبحت جثّة يا أيمن، هيّا لنعودَ قبل أن نصبح مثلها.
أيمن: أنا لن أعيش من دونها، سأنتقم حتماً والآن.
خالد: هل تنتقم من جنّ؟
أجُننت أنت؟؟
هيّا نعود وَ دَعك من هذا الهراء، عادا أيمن وخالد والحزن قد ملأ قلوبهم، والدّموع لم تكفّ عن السّقوط من أعينهم لشدّة حزنهم على لميا، تلك الفتاة المغامرة قد ماتت ولم تترك وراءها سوى الذّكرياتها، عادا لمدينتهما وقد أصبحت بائسةً لا بهجة بها، عادا بقلوبٍ منكسرة وأقاما عزاءً لروحها الّتي صعدت للسّماء
وتزوج خالد بعد سنة واثنا عشر يوماً، ولازال أيمن يعيش الصّدمة ذاتها ويحاول نسيان الّتي أحبها.
كان يرسم أحلاماً مع لميا لكنّها لم تتحقّق، أصبح أيمن وحيداً كجثةٍ خامدةٍ لكنّها تسير فوق التّراب بدلاً من أن تُدفن تحتها.

الكاتِبة: ريان الحمود

«زنزانة النّبيذ»

استيقظت رُبا على صوت خربشةٍ حادّة، كأنّ أحدهم يجرّ أظافره على جدارٍ من حديد.
لم تكن تدري كم مضى من الوقت، ولا كيف وصلت إلى هذا المكان الغامض.
كان الهواء ثقيلًا، كأنّه مشبعٌ بأنفاس موتى لم يُدفنوا بعد.
الجدران متآكلة، رطبة، تنزّ عتمة، وأمامها بابٌ صدئ محفور عليه رقم غريب 13 .
في الزّاوية، كانت مرآةٌ مكسورة تعكس وجهها مشوّهاً، عيناها واسعتان لكن، خلفهما شيء لا يشبهها، وتحت المرآة وُضعت ورقة صفراء مكتوب عليها بخطٍّ مرتجف: العفريت لا يحبُّ الكذب ولا النّسيان.
ارتجفت رُبا وحاولت أن تتذكّر، لكن عقلها كان غارقًا في ضبابٍ كثيف، ومن خلف الباب، بدأ صوت زحفٍ يقترب، ليس مشياً بشريّاً، بل زحفًا ثقيلاً كأنّ شيئًا يجرّ نفسه على الأرض، ثمّ جاءها صوتٌ هامس، كأنّه خرج من بئرٍ عميقة: رُبا، اعترفي أو أخرج أنا.
تراجعت إلى الخلف فاصطدمت بالمرآة وجرحت يدها، انسكب الدّم، لكن المرآة لم تعكسه بل أظهرت وجهاً آخر.
وجهها ذاته ولكن بعينين سوداويّتين وفمٍ مفتوحٍ حتّى الأذنين، ثمّ جاءها صوتٌ خافت من الجدار المقابل: هل أنتِ حقيقيّة.
التفتت بسرعة، فإذا بشابٍّ خلف القضبان، وجهه شاحبٌ وعيناه غائرتان وفيهما شيئًا مألوف، كأنّها رأته في حلمٍ قديم.

قال بصوتٍ متهدّج: أنا سليم، كنت هنا قبلكِ، لا تصدّقي كلّ ما ترينه.

اقتربَ منها دون أن تُصدر خطواته صوتًا، قالت بصوتٍ مرتجف: ما الّذي يحدث؟ أين نحن؟ أجابها وهو يحدّق في المرآة: هذا السّجن ليس مكاناً بل اختبار، كلّ واحدٍ منّا يواجه عفريته الخاصّ، لكن إن كذبتِ عليه سيتملّكك.

وقبل أن تتمكّن من سؤاله، عاد صوت الزّحف خلفها مباشرة، شعرت بأنفاسٍ باردةٍ على عنقها.

اشتعلت المرآة بضوءٍ أحمر، واختفى انعكاسها.

ظهر بدلًا منه وجهاً مشوّهاً بلا جفون، صوته يخترق الصّمت: اعترفي أو أُقيم فيكِ.

حاولت رُبا الصّراخ، لكن صوتها انكسر، وشعرت بشيءٍ يخترق صدرها، كأنّ روحًا غريبة تسكنها.

وفجأة، تبدّلت المشاهد أمام عينيها، رأت النّهر، وأختها ريم، والحبيب الخائن، ورأت نفسها تصرخ: ارجعي يا ريم.

ثمّ جاء السّقوط، فالصّمت، فالماء الّذي ابتلع أختها إلى الأبد.

وفي اليوم التّالي، قالت للجميع أنّها لم تكن هناك، دفنت السّرّ كما دُفن الجسد.

المرآة الآن تعكس كلَّ شيء، وهي تصرخ في وجهها: لِمَ سكتِّ؟ لِمَ أخفيتِ الحقيقة؟

حينها أدركت أنّ السّجن لم يكن حولها بل في داخلها.

العفريت لم يكن سوى ظلّ صمتها، والمرآة لم تكن سوى النّهر نفسه، يعكس ذنبها القديم.

أخذت نفساً عميقاً وقالت: أنا السّبب وأنا الّتي سأعترف.
فانفجر الضّوء واختفى العفريت، وتلاشى سليم كأنّه لم يكن سوى صدى ضميرها.
في اليوم التّالي، وقفت رُبا أمام قسم الشّرطة، كان وجهها باهتاً، لكن عينيها مغمورتين بالسّكينة.
دخلت بخطواتٍ ثابتة وقالت للضّابط: كنتُ شاهدةً على ما حدث لأختي ريم، والّذي دفعها إلى النّهر لم أكن أنا، بل هو.
نطقت باسم الجاني.
بدأ التّحقيق، وتجمّعت الأدلّة،
وبعد أيّامٍ قليلة صدر الحكم: السّجن المؤبّد للمجرم.
خرجت رُبا من القسم، والمطر ينهمرُ خفيفاً كأنّه يغسل عنها ذنب السّنين.
سارت حتّى وصلت إلى النّهر ذاته، كان الماء هذه المرّة هادئاً صافياً، يعكس وجهها الحقيقيّ بلا خوف.
وبينما كانت تقف هناك، اقترب منها شابٌّ يقف إلى جوارها بصمت، كان سليم، لم يكن خيالًا هذه المرّة، بل حقيقة، قال بهدوءٍ عميق: كنت هناك يومها، رأيت كلّ شيء وصمتّ، لكن حين سمعتك تشهدين أدركت أن الصّمت لا يُنقذ، بل يُقيّد صاحبه إلى الأبد.
نظرتْ إليه رُبا والدّموع تلمع في عينيها، وقالت بابتسامةٍ باكية: الاعتراف ليس ضعفاً بل شجاعة متأخّرة.
وقفا معاً أمامَ النّهر، لا خوفَ ولا ظلّ، بل سكون يشبهُ السّلام.
مرّت الرّيح على وجهيهما كأنّها لمسةُ غفران، وفي انعكاسِ الماء ظهر ظلّ ريم تبتسم لهما،
ثمّ تلاشت ببطءٍ مع خيوط الفجر.

رسالة رُبا وسليم إلى القارئ...

(صوت نهرٍ خافت، النسيم يمرّ، وصوتاهما يتناوبان الهمس)
رُبا: إن وصلتَ إلى نهاية الحكاية، فاعلم أنّ كلَّ زنزانةٍ في داخلك لها مفتاح، لكن المفتاح ليس في الباب، بل في صدقك مع نفسك.
سليم: كلُّنا أخفينا وجعاً وكتمنا صرخةً أو صمتنا؛ خوفاً من مواجهة الحقيقة.
لكن من يكتم وجعه يعيش في زنزانةٍ طيلة عمره، حتّى لو كان الباب مفتوحًا.
رُبا: اعترف ولو ارتعشَ صوتك، سامح، ولو ظلّ الألم في قلبك، المهمّ ألّا تدع الخوف يختار طريقك.
سليم: النّيّة الصّافية لا تُنقذك دائمًا من الخطأ، لكنّها تُنقذك حتماً من الضّياع.
رُبا: احكِ حكايتك قبل أن تحكيك، واجعل كلَّ كلمةٍ تقولها شهادةَ حياةٍ لا اعترافَ ذنب.
سليم: تحرّرنا حين آمنّا أنّ الحقيقة ليست نهاية، بل بدايةٌ جديدة.
(صمتٌ قصير، صوت الماء يهدأ تدريجيّاً)
رُبا وسليم معاً: إن سمعتَ صوتَ ضميركَ فلا تخف منه، فهو لا يُحاكمك، بل يريد أن يُحرّرك.

«سجينُ الماضي»

وفي ليلةٍ ما، أراد القدر أن يفرّق بين شخصين، ويجعلهما يتألّمان بقسوة، وهل الألم يزول ويتلاشى؟ وحبّهما يتبخّر كعودِ بخّورٍ أم ماذا؟

ماسال: لما هذا الحزن، لِم لم أنساه، إنَّه في ذاكرتي، وأستطيع رؤيته وكأنَّهُ يتواجد الآن معي .

وفي زاويةٍ مظّلمة، يكاد شخص أن يموت من شوقهِ إليها، وهل لها أن تعرف ذلك أم أنّ فؤادها أيضاً يتعذّب مثله؟

ماسال: أريده، لا أستطيع البُعد عنه فالقرب منه حياة، وبعده كالموت، لما هذا الضّجيج الّذي يخونني كلّ لحظةٍ.

هي من ذهبت، وإنّها لا تريد العودة لي كي نكونَ سوياً، لا أدري ما سبب بعدها، ولكنّ العاشق لا يبتعد ولا يترك معشوقهُ بلا روحٍ، الحبّ كالموت كلاهما يعذّب الشخص، ولكن هنالك اختلافٌ بسيط، فالموت لا يستطيع رؤية من يشتاق إليه بل يذهب إلى قبضِ روحه، كلاهما متشابهان ولكن بمشاعرٍ مختلفة، وإنّما القلب كالسَّجان الّذي يطرق باب زنزانته ليريد الخروج، و الدّموع الّتي تمطر من شدّة البعد والفقدان والألم، كلّا، لم يراهما أحد ولم يَران ما يشعران به، ولكن هل لشخصٍ أن يترك حبيبته، أم لعاشقةٍ أن تترك عشقها، وهل سيجتمعان ويتّحدان ، أم سيموتان من شدّة الشّوق لبعضهما.

«أنا السّجين والسّجّان»

اللّيل ثقيلٌ والسّاعة تقترب من الثّالثة، الظّلام يملأ الغرفة، إلّا من ضوءٍ خافت يتسلّل من نافذةٍ نصف مفتوحة.
يجلس آدم على الأرض، ظهره للحائط، وصدره يعلو وينخفض كمن يهرب من شيءٍ لا يُرى.
آدم: كم مضى من الوقت؟ سنة؟ سنتين؟ أم أنّي توقّفت عن العدّ منذ رحيلها؟
صوته الدّاخليّ: لقد توقّفت عن العيش لا عن العدّ، كلّ يومٍ منك يشبه الآخر، نفس الوجع، نفس الوجوه في رأسك.
آدم (بصوتٍ غاضب): كفى، أنا لم أختر أن أتذكّر، الذّكريات هي الّتي تطاردني.
صوته الدّاخليّ (هادئ لكنّه حادّ): بل أنت من يدعوها كلّ مساء، تفتح لها الباب حينَ يغلقهُ الجميع، تحدّث صورتها، وتستحضر ماضيك معها كما لو كان حاضرًا.
آدم: لأنّها كانت الحياة الوحيدة الّتي شعرت بها أنّي موجود، وبعدها كلّ شيء فقد لونه.
صوته الدّاخليّ: وكم ستبقى تختبئ وراءها؟ النّاس رحلوا، الفصول تغيّرت، وأنت ما زلت في نفس اللّحظة.
آدم (يضع يديه على وجهه):
لا أستطيع... لا أستطيع أن أخرج من هنا.

صوته الدّاخلي: لأنّك لا تريد،
سجنُ الذّكريات ليس له قضبان، بل رغبة بالبقاء داخلَ الألم.
أنتَ تحبّ وجعكَ لأنّه الشّيء الوحيد الّذي بقيَ لك منها.
يسود الصّمت.
ثمّ يرفع آدم رأسه ببطء، ينظر حولهُ وكأنّه يرى جدرانَ السّجن الّذي بناهُ بنفسه.
آدم (بهمس): كلّ هذا... منّي وإليّ، أنا السّجين وأنا السّجّان.
صوته الدّاخلي: أدركتَ الآن،
حين تعترف تبدأ الحرّية.
ينهض آدم، يفتح النّافذة على اتّساعها، يدخل هواء الفجر البارد إلى الغرفة، ويغمض عينيه لأوّل مرّة دون خوفٍ من الذّكريات.
آدم (بصوتٍ واثق): لن أنساها...
لكن لن أعيش فيها بعد الآن.

«سجينهُ عمقي»

لم يكن سهلاً أن أطبقَ على أوجاعي وأختنقَ بقهرِ أنفاسي. أن أستخدم يدي لخنقي، فالكلمات تراكمت بحلقي، شددتُ الوثاق حتّى جحظَت عيناي. ألم يكفِ كلّ ما أعاني؟ بربّكم اتركوني!، يكاد الجنون يفتكُ بي، صراخكم يفتّت داخلي، ينثرني رماداً محترقاً. أفلتوني، فكم أحاول أن أبدو بخير وأنا مشوّهة من الدّاخل.

هناك يصرخ الرّعب القابع في ذروتي، وبجانبه تحتسي القهوة نقاط ضعفي. هناك بالأسفل، هل رأيتم؟ إنّها أنا المنزوية، الفاقدة لنفسها، الّتي لا تعرف من هي بخضم كلّ ما يدور حولي. تجاربي الفاشلة رفقاً بمطرقتي وسنداني، رفقاً بآلامي!، لم أعد أحتمل صوتكِ العالي. هل تفرحكِ وخزاتُ قلبي على من رحل؟ أم ذاك الّذي أسقطنا في الحفرة وحدنا، وكان الخذلان طلباً منه أن يكون مستشاره الخاصّ؟ إحساسي بالدّوران شتّتني، كأنّ الزّوابع فضّلت داخلي لتجوبَ بهِ فتكاً.

أصمت، نعم أصمت، وأظهر للعالم بأقوى وجه لديّ، فهذا الّذي بي ليس فقط منّي، فالصّراخ العالي هو كلام النّاس وانتقادهم المتلاحق.

ولكن، خلف هذا الصّمتِ المُصطنع، تتكسّرُ مرايا روحي ألفَ مرّةٍ، وتُحاصرني ظلالُ ماضٍ لا يرحمُ، كلّ غرزةِ كتمانٍ هي طعنةٌ جديدةٌ، تُعمّقُ الجرحَ وتُزيدُ من وحشةِ الطّريقِ.

أُحاولُ أنْ أُلملمَ شتاتَ نفسي،

أنْ أُعيدَ بناءَ ما هدمتهُ الأيّامُ القاسيةُ.

لكن كلّ محاولةٍ تُعيدني إلى نقطةِ البدايةِ، حيثُ الصّمتُ هو سيّدُ الموقفِ، والألمُ هو رفيقي الوحيدُ.

الكاتِبة: أمة الله لاحمدي

«خيانة عظمى»

في غرفةٍ أشبه بجنان، تعيشُ سنا بطلة قصّتنا، سنا شابّة طموحة تسعى لتحقيقِ الأفضل دائماً، تدرسُ في كلّية الحقوق وهذه سنة تخرّجها، تعشق مجالها وتثابر في دراستها لتحصّلَ أفضل النّتائج.

في مساءِ يوم الثّلاثاء بعد أن عادت من جامعتها، جلست على سريرها تعيدُ أحداثَ يومها، استلقت على السّرير وبدأت تزفرُ من فمها هواءً ساخناً، وكان حزن العالم قد اجتمعَ بها، سرقها النّوم لبضع دقائق فاستيقظت على ستائر غرفتها تتمايل يميناً ويساراً، تعجّبت من أمر تلك السّتائر، فكانت قد أغلقت النّافذة قبل أن تجلس، ارتعشَ جسمها وبدأت تشاهد فلم رعب يحدث في غرفتها، أضواءٌ تشتعلُ وتنطفئ، ستائرٌ تتمايل كالرّاقصة طرباً آخر اللّيل، نوافذٌ تُفتح وتغلق، مزهريّةٌ تقع على الأرض ثمّ تعود لمكانها، سنا لم تعد تدرك ما يحدث حولها، لهذا بدت تغمضُ عينيها وتفتحها وماحولها لم يتغيّر، تسلّلت ببطء وخرجت من غرفتها، الخوفُ يسيطر عليها ودموعٌ تسقط دون وعيٍ وكأنّها التقت مع مجرمٍ سفّاح.

دخلت لتغسل وجهها، نظرت إلى المرآة لتتأكّد أهيَ صاحية أم لا، ماذا يحصل؟

لماذا كلّ هذا الشّيء؟

أهوَ كابوساً أم حقيقة؟

نفسها تعبت جدّاً رغم أنّها تدرس في مجال القضاء،

وفي المستقبل القريب ستصبح أشهر وأهمّ محاميّة؛ لكنّها تخافُ من أيّ شيءٍ كهذا، مشاعرها ضعيفة وقلبها لا يتحمّل القسوة.
استلقت على أريكةٍ في صالة الاستقبال وهي تفكّر بما حدث، استيقظت والدتها وتفاجأت بوجودها في هذا الوقت وفي هذا المكان فنادتها: سنا، ماذا تفعلين هنا؟
سنا: أمّي، لا أدري أردت أن آخذ بعض الرّاحة هنا، هل يوجد مشكلة لوجودي؟
أمّ سنا: لا حبيبتي، أنا أريد راحتكِ فقط، قبّلت رأسها وذهبت إلى غرفتها وهي تفكّر بها، هي لم تراها هكذا منذ عشر سنوات، ياترى هل قام إياد بإزعاجها؟
أتمنّى أن تكون مشكلة صغيرة ولا تغضب
إياد هو خطيب سنا منذ سنتين، هو أكبر رجال الأعمال في بلدهم، تخرّج من كلّية الهندسة المدنيّة، وحاصل على شهادة فرنسيّة في مجالِ الحقوق، هو وسنا متشابهين في مجالهم قليلاً، لكنّهم مختلفين تماماً في التّعامل، عُقدَ قرانهما منذ سنتين، سنا تعتبره خطيباً وزوجاً وليس حبيباً، هو يعاملها بلطف وأيضاً لا تعني له سوى خطيبة، أي أنّهما انفرضا أن يكونا سويّاً، هما رضيا بأمرهما واتّفقا على أن يتعاملا باحترامٍ وودٍّ.
استيقظت سنا، وبدأت تلتفت إلى جانبيها، هل كلّ شيء ذهب؟ قامت مسرعة لترتدي ثيابها وتذهب إلى جامعتها، قبّلت والديها وذهبت مسرعة لأنّ النّوم سرق وقتها، سنا تملك أختاً أكبر منها، اسمها رنا، متخرّجة من الجامعة بمجالِ الهندسة المعماريّة،

وأخت أخرى أصغر منها اسمها سما، في المرحلة النّهائيّة في الثّانوية، وأخٌ أكبر "رامي" متزوّج منذ خمسةِ أعوام، يعمل في شركة والده، وهو أيضاً محامي مشهور لذلك يحبّ سنا كثيراً؛ لأنّها تدرس مجاله المفضّل، لديه طفل وطفلة، الطّفلة سنا على اسم أختهِ، والطّفل سامي، والدها متقاعدٌ بسبب عمره الكبير، ووالدتها سيّدة مجتمعٍ حقيقيّة، تعمل في مجالها" جراحة قلب" تعشق مجالها وتمنّت لو أنّ أولادها كانوا مثلها، لكن كلّ شخصٍ منهم شقّ طريقه بمفرده.

سنا تعبر الطّريق وهي تفكّر بما حدث، تقول بينها وبين نفسها: ربّما كان كابوساً، أو ربّما كنت أتوهّم، ياترى هل كان حقيقيّاً؟ أم أنّ غرفتي يسكنها جنّاً؟

لا لا ياربّ، تابعت مسيرها لكنّ عقلها لم يتوقّف عن التّفكير، حضرت محاضراتها جميعها لكنّها ليست كالمعتاد، شغفها بدأ يتلاشى، خرجت لتعود إلى منزلها، لكن بالحقيقة لا تودّ العودة إلى غرفتها، ماذا لو تكرّر ماحدث في الأمس؟

وهي تحادثُ نفسها كمجنونة، رنّ هاتفها، نظرت وكان إياد: السّلام عليكم، كيف حال محاميتي، هل هي بخير، أودّ أن أتناول معها الغداء هذا اليوم.

أجابت سنا وهي متعبة: أهلا إياد، أنا بخير وفضل من الله، أريد أن أعتذر فإنّي متعبةٌ للغاية، حبّذا لو تلاقينا عند المساء.

أدرك إياد أنّها ليست على مايرام: نعم، غاليتي تطلب منّي ولا أجيب، حسناً في المساء سآتي إلى منزلك.

سنا: طبعاً، على الرّحب والسّعى، أنتظرك.

أغلقت الهاتف وابتسمت قليلاً: سأتحدّث له عمّا حدث، ربّما سيرشدُني إلى طريقٍ لم أتوقّعه.

وصلت إلى المنزل، لكنّها لا تريد أن تدخل إلى غرفتها، دخلت إلى غرفتها وهي خائفة، استلقت على سريرها وأخذت غفوة سريعة، استيقظت وبدأت تلتفت لكن لم يحدث شيء، حمدت الله وبدأت تحضّر نفسها لاستقبال خطيبها.

تجهّزت بأجمل الثّياب وبدت أنيقة للغاية، خرجت من الغرفة وهي مبتسمة لكنّها لا تَعي السّبب، ذهبت إلى والدتها في المطبخ:

أمّي، أين أختي رنا، منذ أن خطبتُ لإياد ابتعدتْ عنّي كثيراً، هل تعرفي السّبب؟

أمّ سنا: لماذا تفكّري بهذه الأمور، هي فقط حزينة لأنّها لم تعمل في مجالها، هي تعبت كلّ تلك السّنوات لتتوظّف بما تعلّمتْه، لا لتجلس في المنزل، لا تقلقي هي تحبّك كثيراً.

سنا: رنّ الجرس، أهلاً وسهلاً إياد، كيفَ حالك.

إياد: بخير الحمد لله، اشتقت إليكِ، كان صوتكِ حزين، ماذا حدث، هل تعرّض لكِ أحد في الجامعة، هل قام بإزعاجك أحد.

سنا: لا، كنت متعبة قليلاً، لكن الآن أصبحت أفضل للقائك.

تسامرا إلى منتصف اللّيل وهم يضحكا ويتمازحا سويّاً، ودّعت إياد وهي لأوّل مرّةٍ تراهُ كحبيبًا لها.

دخلت إلى الغرفة والابتسامةُ تملأ وجنتيها، تناست ماحدث في الأمس، نامت دون أن تبدّل ملابسها من شدّة فرحها، واستيقظت في صباح اليوم التّاني دون أن يوقظها أحد.

تلقّت رسالة صباحيّة، تعجّبت، مَن سيرسل لي في هذا الوقت؟
فتحتها وتغيّرت ملامح وجهها بشكلٍ كامل" لا تقلقي، ماحدث في ليلتكِ السّابقة سيعادُ كثيراً، أنتِ من فعلتِ بنفسك هذا، تلقّي الصّدمات من الآن وصاعداً".
بدأت الدّموع تتساقط واحدة تلوى الاخرى، توقّعت أنّه قد انتهى، من يريد إيذائي، لم اتسبّب لأحد بأيّ شيء.
احتضنت وسادتها ليتبادلا الدّموع مع بعضهما، لم تذهب إلى جامعتها، ولم تجِب على أيّ اتّصال، حتّى إياد اتّصل أكثر من عشر مكالمات ولم تجِب.
بدأت الشّمس تغيب وهي في غرفتها، قلقت امّها وحزنت على حال ابنتها، ما هذا الهمّ الّذي غيّر حالتها هكذا.
دخلت إلى غرفتها وبدأت توقظها: سنا، ابنتي، هيّا استيقظي، قولي لي من قام بإزعاجك، بدأت تحرّكها لكنّها لم تستجيب، سنا، سنا، هيّا، استيقظي.
بدأت تنادي لوالدها، ابراهيم، ابراهيم، هيّا أسرع سنا لا تستجيب.
ابراهيم: ماذا حدث لها؟
أم سنا: لا أدري، دخلت لأوقظها لكنّا لاتستجيب.
لفّها بين ذراعيه كطفلةٍ صغيرةٍ وأسرع بها إلى المستشفى.
استيقظت وهي خائفة، أين أنا؟
أم سنا: لاتقلقي، أنتِ في المستشفى قد اغميَ عليك، ما الّذي حدث لك؟ قولي لي ما الّذي يحدث لك؟
تعافت، وقاما والديها بإخراجها، قالت لوالدتها: أمّي، أريد أن أغيّر هذه الغرفة رجاءً.
أمّوسنا: لماذا يا ابنتي؟
سنا: هذه رغبتي، رجاء حقّقي لي هذا الطّلب.
انتقلت من غرفتها وكأنّها فُرجت من سجنٍ محكوم عليها بالإعدام.
بقيت غائبة عن الجامعة مدّة أسبوع كامل، حتّى إياد لم تتّصل به كثيراً، دائما تحاول الهروب منه بحجّة المرض.

نفسيّتها تعبت كثيراً، كانت تطلب أختها ربا دائماً، لكنّها في كلّ مرّة ترفض أن تلقاها.

مرّت أيّام ولم يحدث أيّ شي، غير المعتاد، بدأت تهدأ قليلاً، وعادت إلى جامعتها لتكمل مابدأت به.

مرّ شهراً على آخرِ حادثةٍ لها، استعادت قوّتها من جديد وشغفها، بدأ حبّ إياد يزداد في قلبها يوماً بعد يوم، وغياب ربا عنها يزداد أكثر، تتعجّب ممّا يحدث لكنّها تقول ربّما تمرّ بمشاكل.

جالسة في مقهى الجامعة تعيد محاضراتها لحين يأتي وقت الأخرى، وصل طرد مغلّف ووُضع على الطّاولة أمامها، مِن مَن هذه؟

_ لا أدري، شخصٌ قال لي اعطِها لكِ.

سنا: شكراً لك، جزاك الله خيراً.

انتابها فضول حول ما بداخلها، فتحت العلبة وتفاجأت بما في داخلها "دميةٌ حول رقبتها حبل يكاد يخنقها ورسالة مكتوب بها" هذه المرّة الدّمية، في المرّة القادمة أنتِ، قمت بتحذيرك من قبل"

صدمة أقوى من قبل، ماهذا، تعبتُ كثيراً، لم أؤذي أحد، لم أكسر قلب أيّ شخص، لما كلّ هذه القسوة، لكن هذه المرّة لم تخف، لم تستسلم، بل ستحاول أن تظهر الحقيقة، هدفها إنصاف الحقّ للغير، كيف تبقي نفسها هكذا، تتعرّض لتهديدات، وتدخل في مجال الجرائم، تفكّر بينها وبين نفسها: أنا طالبة لحدّ الان، كيف سأحكم على أشخاص في هذا الوقت، أأتابع دراستي ام أحاول تحليل هذه القضيّة.

بدأت تفتّش وتحلّل الأمور، من كان عدوّاً لها، من يبتعد عنها دون سبب؟

تذكّرت، ربا، ماذا؟

لا، من المستحيل أن تكون هي، هي أختي كيف ستؤذيني هكذا؟

قالت لإياد كلّ شيء، من أوّل مرّة تعرّضت لتلك الموقف إلى يومها الّذي تلقّت بهِ آخر تهديد.

تعاونا سويّاً ليحلّا أمرهما، سنا تعرّضت لتلك المواقف لكن إياد ساندها وكأنّ تلك الخيبات أيقظت داخلهم؛ لتشعلَ نار الحبّ بينهم، لتتّحد أنفسهم ويواجها كلّ الصّعوبات يداً بيد.

وبعد التّفتيش والبحث، تبيّن معهم من خلال الخطّ الموجود على تلك الرّسالة، أنّ المذنبة هي"رنا"، سنا انتابتها خيبةٌ كبيرة من أختها، ماذا فعلت لها، كانت لها السّند دائماً، لم تؤذِها ماذا فعلت لها؟

سنا: إياد هل اواجهها؟

إياد: لا أدري، لكن من الأفضل أن تواجهي عدوّك.

سنا: حسناً.

ذهبت سنا إلى المنزل وسألت عن ربا، كانت جالسة في غرفتها تقرأ بالكتب، دخلت سنا وقالت لها: أختي، هل يمكنني التّحدّث معك قليلاً.

ربا: في وقتٍ لاحق، الآن لديّ بعض الأعمال.

سنا: الآن يا ربا، الآن، أريد أن أسألك ماذا أعني لك؟
ربا: ماهذا السّؤال، بالطّبع أنتِ أختي، أم أنّك تهزأينَ بي.
سنا: بالطّبع لا، أنا أحترم من هم أكبر منّي، لكن كيف تستطيع أختاً أن تؤذي أختها، ألم يؤلمك قلبك على فعل أشياء كهذه بي، ماذا فعلتُ لك؟
ألم أعتبرك أمّاً ثانية لي؟
ربا: عن ماذا تتحدّثين؟
ربّما أنت متعبة وبدأت تغلطينَ بالكلام.
سنا: لا أنا في كامل عقلي، لكن أنتِ مَن لا يدرك ما يفعل، دمية ميّتة، ورسالة في الصّباح الباكر، ليلة مثل ليالي الجنّ، كلّ هذا لماذا؟
ربا: كفاكِ ، أنتِ سرقت منّي إياد، كنت أحلم أن نكون سويّاً في يومٍ من الأيّام، لكن أنتِ ماذا فعلت، بكلّ راحة أخذته، حطّمت آمالي وكسرتي قلبي، لذا ستتلقّين عواقبَ ما فعلتِ، سأعاقبكِ حتّى يأتي يوماً أراك به بين قضبان السّجن، مكبّلة لا تستطيعي فعل شيء سوى النّواح على أيّامك الماضية.
أيوجد في هذه الحياة أختاً هكذا شرّيرة؟ أيوجد أختاً عاقلة تؤذي أختها من أجل شابّ لا يحبّها؟
هل ستكمل ربا مابدأت به؟
أم ستوقفها سنا وتحكم عليها بالخيانة العظمى؟
خيانة من أقرب الأشخاص إليك، من تعتبرهم أعزّ البشر هم أقسى من الحجر.

«المداد الأسود»

في الزّنزانةِ المظلمة الضيّقة، بين جدرانِ الهلاك، حيث لايصل إلّا ضوءً خافتاً يضيء الأركان الباردة، ضوءً لا يكسر الظّلام بل يزيد وحشته، كانت ليا شابّة بريئة، سجينةٌ بجريمةٍ لم ترتكبها، وجدت نفسها في زنزانة مظلمةٍ خالية من كلّ شيء عدا دفتر الملاحظات وقلم حبرٍ جاف، مدادُه شحيحٌ كالأمل.
قرّرت أن تكتبَ كلّ ما مرّت به، وبمرور الأسابيع تحوّل دفترها من مجرّد أوراقٍ إلى كيانٍ متضخّم، كانت ليا تكتب عن الفخّ الّذي نُصب لها، وعن الظّلم الّذي تواجهه بمفردها، تخلّى عنها الجميع ولم يأتِ لزيارتها أحد طيلة تلك السّنوات الّتي مرّت بها، فكلّ ماتسمعه هو همساتها الدّاخليّة الّتي تحوّلها الزّنزانة لصدى مرعب لا يرحم.
في إحدى اللّيالي المظلمة، استيقظت ليا على صوتٍ غريبٍ ومخيف، لم يكن صرير الأبواب أو رواعد المطر، كان صوت تذوّق. التفتت تنظرُ لتلك الجدران السّاكنة، فلم تجد شيئًا، وحين نظرت على الطّاولة الخشبيّة وجدت شيئًا لا يصدّق، المداد على الصّفحة يتحرّك كأنّه حيّ، يتجمّع على شكلِ خيوطٍ دقيقة كالأوردةِ السّوداء، وتزحف ببطء نحو حافّة الورقة، حتّى اختفت كلّ الكلمات الّتي كانت تدوّنها، وبعدها جاء صوت يهمس، "لقد أكلت حزنك.. كلّه.."

تجمّدت ليا في مكانها وهي ترى ظلّاً أسوداً يزحف ببطء على الجدار، ظلّاً يفتقر إلى الملامح ولكنّه يحمل ثقل كلّ كلمة كتبتها.

ثمّ سمعت همسةً أخيرة، قريبة جدّاً وكأنّها تأتي من قفصها الصّدريّ "ولكنّني الآن جائع "

وفي الصّباح عندما دخل الحرّاس، وجدو الزّنزانة فارغة تمامًا، لم يجدوا ليا ولا أيّ أثرٍ لها، الشّيء الوحيد الّذي وجدوه هو رقعة صغيرة من الورق الأبيض، مطويّة بعناية فائقة في زواية الزنزانة، مكتوب عليها كلمة واحدة مكتوبة بالمداد الأسود:''جائع '' .

«سجينُ الماضي»

السّاعةُ الثانيةُ عشرةَ في منتصفِ اللّيلِ، الجوُّ باردٌ، والمطرُ يهطِلُ بغزارةٍ.
نامَ الجميعُ، وبقيت راما جالسةً في غرفتها وحيدةً.
فتحتِ النّافذةَ، فتسلّلَ الهواءُ إلى رئتَيها اللّتين كادَتَا تشتعلانِ حرقةً.
تأمّلتِ السّماءَ، وحزنَتْ لبكاءِ الغيومِ وما استطاعتْ مواساتَها، فشارَكَتْها بالبكاء.
في دوّامةِ انخِراطِها العنيفِ في البكاءِ لاحظتْ دفترًا يختبِئُ كلصٍّ في إحدى زوايا الرّفِّ، ويَخشى أن يراهُ أحدٌ.
التقطَتْه وتأمّلَتْه، فَعادَتْ بِذاكرتِها إلى الوراءِ،
حيثُ كان قلبُها مُرتّبًا لا تُعَمِّمُهُ الفوضى،
وعقلُها هادئًا لا ضجيجَ فيه،
كانت تعيشُ حالةً من الأمنِ والاستقرارِ النفسيّ، ولم يكن يشغلُ بالَها شيءٌ...
إلى أن جاء ذلك اليومُ المشؤومُ الّذي قلبَ حياتَها رأسًا على عقبٍ، وجعلَ النومَ يُجافي عينَيها.
ذبُلَ وجهُها، واصفَرّت بشرتُها، وهَزلَ جسدُها،
وأصابَتِ الشّيخوخةُ قلبَها النّديّ.
ذلك اليومُ الّذي طُعنَتْ فيه من أقربِ الناسِ إلى قلبِها... ثم توالتْ عليها الخيباتُ وتكاثرتْ،
فاستوى عندها آنذاك الليلُ والنّهارُ؛

تجرّعتْ من المآسي والآلامِ ما لا يُحتملُ... من خذلانٍ، وفقدٍ، وخيبةٍ.
نَسِيت طعمَ السعادةِ منذُ ذلك الحينِ...
وضلّتِ السعادةُ طريقَها إليها، فلم تعدْ تزُرها إلّا قليلًا، ثمّ ما تلبَثُ أن تُبعدَها الأحزانُ لتستقرَّ في فؤادِها فتقلبَه خرابًا.
أعادتِ الدفترَ إلى الرّفّ، وتهاوتْ على الأرضِ من شدّةِ البكاءِ.
نظرتْ إلى وجهِها بعد أن بدأ الفجرُ يبزغ، فلم ترَ نفسَها؛ بل رأتْ وجهًا أشبهَ ما يكونُ بوجهِ شبحٍ.
استسلمتْ لحقيقةِ حياتِها المُرّةِ، فجفّفتْ آخرَ قطراتِ الدّمعِ على وجنتَيها، ثم لبِسَتْ ثوبَ القوّةِ وخرجتْ تُكملُ نِضالَها في الحياةِ، علّها تجدُ سعادَتَها الضّائعةَ.

«سجينُ الذّاكرة»

يُقال أنّ هناك بيتاً على أطرافِ الغابةِ السّوداء ،لا يظهرُ إلّا لمن يحملُ قلباً مكسوراً.
بيتٌ منسيٌّ، نوافذهُ مغلقة منذ قرون ، وأبوابهُ لا تُفتح إلّا لمن فقدَ شيئاً لا يُعوّض.
"نورا"كانت تبحثُ عن إجاباتٍ منذُ اختفاءِ "ملحم" خطيبها.
قبلَ عامٍ كاملٍ في ظروفٍ غامضةٍ،لم تعرف النّوم.
كلَّ ليلةٍ كانت ترى حُلماً واحداً، بيتٌ قديمٌ،وصوتٌ يهمسُ من خلفَ الجدرانِ: أنا هنا... لكنّي لستُ كما كنت.
في اللّيلةِ الّتي قرَّرت فيها الذّهاب، كانتِ السّماءَ تمطرُ رماداً لا ماء، وصلت إلى الغابةِ، وسارت بلا خريطة،كأنَّ قلبَها يعرفُ الطّريق، وفجأة، ظهرَ البيت، دخلته، الهواءُ ساكنٌ كأنَّ الزَّمنَ توقّف، على الجدرانِ صورٌ قديمةٌ لوجوهٍ بلا عيون، وفي منتصفِ الصّالة مرآةٌ ضخمةٌ مغطّاة بقماشٍ أسود، اقتربت ورفعت القماش فرأت "ملحم". لكنّهُ لم يكُن كما تتذكّره، كان شاحباً، عيناهُ غارقتانِ في الظّلام ، وصوتهُ يأتي من داخلِ المرآة:" أحببتكِ أكثرَ ممّا يجب، فحبسَتني ذاكرتُكِ هنا."
ارتجفت نورا،"ماذا تعني؟"
قال:"في كلّ ليلةٍ تُبكينني،كلَّ دمعةٍ كانت قيداً جديداً، كلُّ ذكرى جداراً آخر.

«تحت شجرة الأمنيات»

في ظلّ الأحلام الورديّة و في ظلّ الذّكريات، قد لاتصدّق أنّ حاضرك المبهج قابل للانهيار، توزّع الابتسامات كمخزونٍ لاينفذ، وكل ما بخاطرك هي أيّام البهاء، ركضتَ لتغرقَ أحدهم بوابلٍ من العطفِ ولم تدرك أنّك يوماً ما ستبحثُ عنه بين حُطام الذّكريات.
كانت حياة "يارا" بكلّ الرّتابة الممكنة لم يشوبها التّجدّد، ناعمة البال، متفتّحة لاتذبل، مُشرقة كالشّمس، مُضئية وبعيدة المنال كالنّجم تماماً، إلّا أن طرق الحبّ بابها وسحب يدها إلى بستانِ الأمنيات، لم تكن جذبة قويّة، إنّما كانت تمشي رويداً رويداً خلف نغماتٍ شجيّة، تُصغي بتمعّنٍ وتحاول اللّحاق بمصدر الألحانِ العذبة، وما إن دخلتْ في عالم"سرمد"الّذي أحبّها حدّ الجنون، أغلقت الأبواب خلفها وتحوّلت كلّ طرق الابتعاد عنه لمتاهةٍ تعيدها لنقطةِ البداية، فتجد نفسها وسط قلبه غارقةً بحبّه، استسلمت للموج العاتي وأصبحت مع التّيار حتّى هدأ هو الآخر، ورويداً أصبحَ يلاطفُ الشّاطئ ببطء دونَ هياج ازدادت ألحانه طرباً عاشَ "يارا" و"سرمد" في تناغمٍ تامٍّ، ونسيا أنّهما على الحافّة ربّما لم تخطر على البال.
أدركت "يارا" أنّ الحبّ لن يقيم عندها، فهجرت "سرمد" واتّجهت نحو الهاوية برغبتها، كانت تعلم أنّ الجحيم بانتظارها فور سقوطها؛ لكنّها ذهبت و أصبحت السّجينة الّتي أقفلت على نفسها عمداً حتّى لا تنجرف أكثر مع تيّارات لم تُقدر لها.
من الجانب الاخر . . .

لم يعلم "سرمد" ماسبب الضّياع ، التّخلّي، ورحيلها عنه، فكلّ طرقها تخبرهُ بأنّها مازالت عالقةً عند ذكرياته، لم تغادر قلبه، لم تسلّم مفاتيحها بعد،
لكنّها غادرت.
أصبح كلّ منهما سجينَ الآخر أحدهما يتساءل لما ذهبت؟!
والآخر هل يا ترى سامحني؟! عند المفترق، ليست كلّ السّجون عذاباً ، فربّما ينِس أحدُ المساجين من النّعيم من أن يكون جافّاً فاختار أن يغرق بوحدةِ السّجن.

«سجين الحب»

هناك فتاةٌ جميلة اسمها هزار، متوسّطة الطّول، شعرها أسود اللّون، عيناها خضراوتان، وجسدها نحيف، تعيش في مدينةٍ صغيرة تحيطها الأزهار والأشجار، و فيها بيوت قديمة أشبه بالتّراث لهذه المدينة، في أحد الأيّام قرّرت أن تتجوّل في زقائقِ المدينة، لترى ما تحتوي بداخلها من مناظر جميلة، وما في سهولها أشياء تشمل الطّبيعة، وهي تمشي على أحد أرصفة هذه المدينة، صادفها شابٌّ وسيم، اسمهُ حمزة، طويل القامة، وأبيض البشرة، جسمه معتدل، وعيناهُ عسليّتان، وشعره أسود، فلفت انتباهها جماله الرّبّانيّ، فعندما أوشكوا على أن يكونوا على نفس السّوية، توقّف حمزة وقال لها: إنّني غريب في هذه المدينة، ولا أعرف أيّ شخص فيها، جئتُ بزيارةٍ لمهمّة شخصيّة، أحمل معي رسالةً لبيتِ العميد الّذي في بلدتكم، هل لكِ أن تخبريني عن طريق بيت العمدة؟ قالت: حسناً سأخبركَ وسأذهب معك إلى ذلك البيت، ساروا وهم في الطّريق نظرَ نظرةً ملفتة إلى عينيها، أشبه بنظرةِ الإعجاب، فتمايلت الفتاة خجلاً أمامه، وأغمضت عينيها قليلاً لكي لا تنظر أكثر إلى عينيه الجميلتين، وفجأة، تعثّرت الفتاة وكادت أن تسقط لولا أن ينقظها الشّاب حينما مدّ يده، وإذا بها تنحني إلى حضنه، فسادت بينهم مشاعر الخجل والارتباك إلى جانب الإعجاب،

وبعدها تابعوا المسير حتّى وصلوا إلى بيت العمدة وأعطوا له الرّسالة، وأرادت أن ترجع معه في طريق العودة لتدلّه على مكان مجيئِهِ، ووافق العميد على ذلك، فذهبت مع الشّاب وقلبها مملوءٌ بالحبّ له، وكأنّها تغرّدُ فرحاً لوجوده معها، فوصلوا إلى المكان الّذي التقوا فيه، وقالت هزار: إلى اللّقاء سأعود إلى بيتي،

ردّ عليها حمزة: إلي اللّقاء رافقتكِ السّلامة، وهي في الطّريق للعودة إلى بيتها راودها شعور الحبّ لهذا الشّاب، وأصبحت سجينة في حبّه. وصلت إلى بيتِها ودخلت غرفتها ومازالت تفكّر متى سيلتقيا سويّاً مرّة أخرى؟ وبعد أن أتى اللّيل، بدأت تتذكّر الأحداث الّتي حدثت بينهما، وقالت في نفسها: لماذا لم أسأله عن اسمه، ما هذه الغفلة الّتي حلّت بي؟ ونامت وهي تفكّر به طول الوقت، وفي الصّباح الباكر طلب منها أباها وهو العمدة أن تحضّر له فنجان من القهوة وتأتي للجلوسِ معه، ففعلت وجلست بجانبه، وبدأ بالتّكلّم معها قائلاً: بأنّ حياة الطّفولة ليست دائمة للبنت والشّاب والعيش في بيت الأهل، ولا يجوز للفتاة أن تبقى في بيت أهلها، وإذا أتاها نصيبها المثاليّ فعليها أن تقبل، وأنتِ أصبحتِ فتاة واعية راشدة، ولا يمنعكِ شيءٍ عن الزّواج، وأنا أتاني شخص منذ فترة قصيرة طالباً يدكِ منّي وأنا قبلت،

فأجابته: ولكن يا أبي أنا لا أعلم مَن هو، ولا أعلم ما اسمه ولا التقيتُ به قبل الموافقة عليهو قبل أن تعطيه الردّ،

فقال أباها: إنّه من عائلة محافظة وراقية، مؤدّبٌ وخلوق، وأنا موافق، بقيَ عليكِ أن تتجهّزي للقاءٍ بينك وبينه مساءَ اليوم، فصمتت الفتاة، وذهبت مسرعةً إلى غرفتها، وهي تفكّر بذلك الشّاب الّذي أسره قلبها من أوّل نظرة، ولكن من جهة أخرى عليها أن تنفّذ ما قاله أباها لها.

حلّ المساء، فتجهّزت وأتى الشّابّ حاملاً معه باقةَ ورودٍ جميلة، نزلت إلى غرفة الضّيوف، وعندما دخلت وإذا به ذلك الشّابّ الّذي التقت به يعطيها باقة الورود، فتفاجأت به.

قال لها: اسمي حمزة ، وأنتِ ما أسمك؟

قالت : وأنا اسمي هزار، ولكن ما الّذي جاء بك إلى هنا؟

فقال لها: جِئت لأطلبَ يدك من أبيك لتكوني حلالاً لي:

فقالت لماذا لم تخبرني من قبل،

قال لها: أردت أن أخبّئها مفاجئة لكِ، هل تقبلينَ الزّواج منّي؟ فقالت: أنا قبلت كما يريد أبي، وكما أريد أنا، وبعدها بدأت مراسم الزّواج، وعاشَا سويّاً في حبٍّ واستقرار، وحياة مليئة بسعادةٍ تحيطُهم من كلّ جانب، فما أجمل تلك النّهايات السّعيدة الّتي تنتهي بالزّواج الصّادق بين المحبّين!.

«سجينةٌ غير مرئيّة»

بزاويةٍ مهجورة، حيثُ الأصوات تتشابك ما بين الماضي والحاضر كانت تقف " ليلاس " وشعرها الطّويل ينسدلُ على خصرها، وعيناها البائسة تنظر إلى المرآة بحزن ، كان ماضيها متراكماً بالقرارتِ والأخطاء المدمّرة الّتي لم تهزم روحها فحسب ، بل دمّرت حياة من أحبّها، لم تعد تملك شيئاً سوى النّدم ، وفي تلك اللّيلة حيث القمر كان خافت الضّوء ، والنّجوم مليئةً بالسّماء، كانت تجلس تحت الشّجر، والنّدم يلتثم جوف أنينها، أزاحت عيناها فرأت قطّةً بعينين خضراوتين تلمع تحت الشّجر، فركضت ليلاس لتحملها، وجدت نفسها عند حافّة بوّابةٍ شفّافة، وتلمعُ بألوانٍ مريحة للنّفسِ كحكايةِ الأساطير، لم تكن بوّابة شفّافة فحسب، كانت منسوجة من فلك السّموات الملوّنة وذات الغيوم الّتي تزيّن السّماء، والنّيازك الّتي تلهم الرّوح ، تلك البوّابة رمزاً للّذين فقدوا الأمل ، فهنا ليلاس تتفاجأ بالمناظر الجميلة الّتي أحاطت بها من خيوطٍ سماويّة، ثمّ عبرت ليلاس طريقها وهي متأثّرة بزمان الغيتار البطيء الّذي عزف لها أجمل الموسيقى، بدأت تنظر وتكتشف المكان حتّى تفركشت ووقعت بين كائنات "سجين المرآة" وهم من عوالم أخرى لا مكان لهم سوى سجين الماضي،

مهمّتهم إعادة ترتيب الفوضى الكونيّة ، كانت أجسادهم مجرّد أضواء متغيّرة اللّون، وصوتهم يشبه الحبّ ويهمس بثقلِ آلاف السّنين،

قال لها أحدهم وصوته يتردّد كصدى في كهفٍ فارغ: لقد رأينا ماضيكِ يا ليلاس، إنّه ماضي لا يمكن إصلاحه ، لكنّنا نستطيع أخذكِ إلى عالم الحاضر ونمنحكِ حاضراً مليئاً بالسّعادة والحاضر الّتي تمنّيتيه لمن حولكِ.

ليلاس وهي ترتجف بالبكاء: أريد أن أرى عائلتي سعيدة، أريد أن أرى أحلام أختي تتحقّق وتفعل ما لم أفعلهُ ، أريدُ أن أرى العالم الّذي كان يجب أن يكون لولا وجودي المدمّر فيه.

سجين الأحلام ينظر لها بنظرةٍ عجيبة: لا بأس يا عزيزتي نستطيع فعل ما تريدين ولكن، ستكون هناك شروط قاسية لتنفيد رغبتك، سنعيد ترتيب الخيوط ، حيث كلّ ما تريدينه ستجدينهُ ، لكن لن تكوني جزءاً منهم ، ستكونينَ شاهدةً فقط، روحاً غير مرئيّة لن يراها أحد، ستكونينَ حاضرة في كلّ مكانٍ وزمان.

وافقت ليلاس دون تردّد، كان الثّمن وجهها الملموس ، والمكافأة هي سلامة عائلتها.

وفي اليوم التّالي، استقيظت ليلاس وكان العالم مشرقاً ، رأت عائلتها سعيدة ، والدها بصحّةٍ جيّدة جدّاً ، أختها تحقّق حلمها بالفنّ والشّعر والطّبّ، وصديقتها القديمة تعيشُ بحياة مستقرّة وسعيدة .

كانت ليلاس تقف بينهم وتلامس الهواء الّذي يتنفّسوه وهي مأسورة بهِ، تسمع ضحكتهم بوضوحٍ تامٍّ كإنسان لهُ جسد لكنّها كانت كالهواء نفسه.

لقد أصبحت ليلاس سجينةً غير مرئيّة، لا يعرفها أحد، كانت تمرّ عبر النّفقات الّتي لطلما حلمت يوماً أن تمرّ منها ، وتجلس في مقاهي القهوة القديمة ، وتسافر إلى البلد الّتي تحبّه دون تكلّف ، وتقف بجوار أحبابها وهم يتحدّثون عن خططهم المستقبليّة ، كانت ترى تأثير غيابها المستقبليّ في هذا الحاضر ، لم ترتكب ليلاس الأخطاء الّتي أدّت إلى الكوارث، لأنّها ببساطة لم تعد موجودة في سجّلاتهم.

كانت قويّة تشبه الفراشات وتبدو عاديّة لمن لا ينظر إليها بحبٍّ، لم تكن شفافيّة فقط،

بل كانت غائبةً الإدراك في عالم الفوضى.

لا يمكن لأي جهاز أن يلتقط وجودها، كانت تستطيع أن تحرّك الأشياء الصّغيرة، تفتح الباب أو تترك رسالة وتلامسها بحبٍّ لكنها، كانت حريصة على عدم التّدخّل ، فالتّدخّل قد يمزّق سجين الحاضر الّذي ضحّت لأجله.

انتشرت خطواتها لجانب الشّجر وهي البوّابة الشّفافة، وقد دخلت إلى كائنات سجين المرآة وهم ينظرون له بحزن، أعطاه سجين البقاء سرّاً، وهو أنّ الوجوه الغير مرئيّة ليس حالة دائمة وأنّها تتجدّد ، تتغذّى على النّدم المنظّم، يجب أن تتذكّري يا ليلاس ماضيكِ المدمّر بدقّة ، لكن دون أن يسطير عليكِ،

الصّندوق الأصداء، كان الصّندوق مصنوعاً من خشبٍ أسود ذات الذّهب لمعاناً ، ولا يحتوي على كنوزٍ ، بل على أدوات البقاء، في داخل الصّندوق كان هناك ثلاثة أشياء ! ! .

1 - مرآة الصّمت: مرآة صغيرة لا تعكس وجهه، بل تعكس اللّحظة الّتي وافقت عليه الصّفقة . كان عليها أن تنظر إليها كلّما شعر بالوحدة، لتتذكّر الهدف الأسمى من خفائها من هذا العالم المظلم .

2 . حجر الذّاكرة: حجر بارد يحمل كلّ ذكريات الشّغف من ماضيها، عندما تلمسهُ تشعر بثقل الأخطاء الّتي ارتكبتها في الماضي ، وهذا الثّقل هو ما يمنحها القوّة للبقاء غير مرئيّة في الحاضر النّقيّ .

3 . زجاجة الرّمل الأثريّ: رملٌ ناعم يتوهّج باللّون الأزرق الخافت، هذا الرّمل هو جوهر الخفاء، كلّ شهر كانت مهامّ شغف أن تنثر قليلاً من هذا الرّمل حول نفسها في طقسٍ سرّيٍّ؛ ليعيد شحن قواها ويضمن بقاءها خارج نطاق الإدراك البشريّ.

كان الصّندوق هو مرصدها الوحيد للعيش بسلام، كان مفتاحها هو الحفاظ على السّر: أنّ الحاضر الجميل عندما يرى نتيجة مباشرة لغيابه.

الشّاهد الأبديّ: عاشت ليلاس حياتها الجديدة كشاهدٍ أبديٍّ، كانت تلتجئ إلى الكتب و مكتبتها المفضّلة وتراقب نموّ أطفال أختها ، وتستمع إلى نصائح والدها الحكيمة ولكنّها لا تستطيع الرّدّ، كانت ترى العالم كيف يمكنهم أن يعشيوا من دونها وكان هذا هو أعظم عزاء وأعظم عذاب.

في إحدى اللّيالي، بينما كانت تقف بجوار سرير أختها وهي نائمة، شعرت برغبةٍ جامحة في لمس يدها، في أن تخمس لها بأنّها تحبّها، لكنّها تذكّرت الصّندوق، وتذكّرت السّر، تراجعت ليلاس وذهبت إلى زاويةٍ مظلمة، وفتحت صندوق الأصداء، نظرت إلى مرآة الصّمت، وتذكّرت الوعد، نثرت قليلاً من الرّمل الأثريّ حوله، وشعر ببرودة الخفاء تتغلغل في روحه.

لقد نجحَ الماضي في مساعدتها على خلق الحاضر المثالي، لكن هذا الحاضر كان لها ثمن أن تكون ليلاس هي السّرّ الأعظم في هذا العالم، شخصيّة غير مرئيّة لا يراها أحد .

وهكذا عاشت ليلاس حياتها وهي شخصيّة غير مرئيّة لا تُرى أبدا مثل الهواء.

الكاتبات:

١.آية مرعي

٢.آية عتيق

٣.أحلام عوض

٤ أرزاق الكامل

٥.أمل درهم

٦.أمة الله الأحمدي

٧.الاء محمود الهليس

٨.تغريد الهويدي

٩.جلنار العبدالله

١٠.حنين أبونظام

١١.رحاب دوبا

١٢.راما الزعبي

١٣.ريان الحمود

١٤.زينة الحسين

١٥.سارة جواد

١٦.سوسن النويرة

١٧.سيدرا الجبر

١٨.شغف عاصم النابلسي

١٩.شادية الزعبي

٢٠.شيماء أمين البوري

٢١.شيماء الوزوازة

٢٢.فاطمة الدالي

٢٣.فاطمة صديق

٢٤.فاطمة فتوح

٢٥.فاطمة وائل محمد المنتصر

٢٦.فردوس كنعان

٢٧.غزل صياد (مكرر)

٢٨.كفا القهالي

٢٩.لمار حميدي

٣٠.مريم دايه

٣١.مريم محمد

٣٢.مروة الرعيني

٣٣.نادية محمد

٣٤.نيرمين حسن البريدي

٣٥.وعد فيصل

٣٦يمن ناجي العواضي

هنا فتياتٌ كتبنَ عن سجونهنّ.
لا على سبيلِ البكاءِ والوقوفِ على الأطلالِ أبدًا

بلْ على سبيلِ التَحَرر..
حيث اختلفتْ الأسبابُ الَتي أدَت لسجنهنّ.
ولكنهنّ اتّفقن على الثَورة على سجّانيهم. لينالوا حرَيتهُم المسلُوبة.

اقرأ علّك تجدُ نفسك بينَ السّطور.

مبادرة فراشة أكتوبر.

- كاتبات فريق ذكريات بين السّطور.
- كاتبات فريق أصدقاء القلم.
- كاتبات فريق أثر فراشة.

مديرة الفريق: فاطمة فتوح.
تدقيق: سدرة شاتليه.
ثواب العسلي.
تصميم الغلاف والكتاب: مريم دايه.